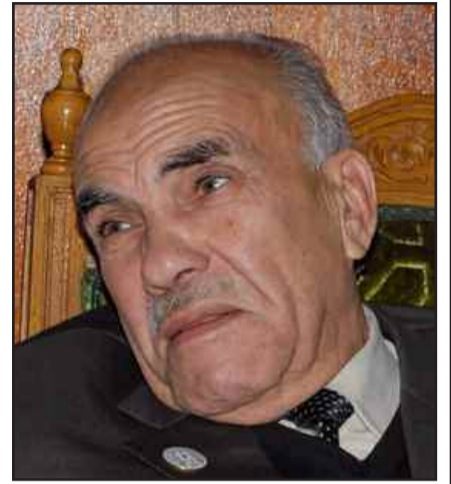




ثورة التحرير الوطنية



ص 16-17



## الثورة الجزائرية في الشعر التركي والأذري

ص 19



سجل العشريتين ليستخلص ويتعظ. إن كان صحيحا أن الوطن هو أكبر من هذا الشجر والحجر وأعظم من هذه الحدود التي تحدثنا والسماء التي تغطيها فإنه بالتأكيد يتمثل أكثر ما يتمثل في هذا اليوم الأجدد الأغر الذي أعاد للجزائري أدميته وللتاريخ القه وللجغرافيا معناها ودلالاتها.

فالجزائر بدون نوفمبر زانديجانس والتاريخ قبل نوفمبر حكايات عن أسلافنا الغاليين والجغرافيا لم تكن سوى عمالة في ما وراء البحر. الجزائري المركب والمشكل من عناصره الأولية التي هي الإسلام والعروبة والأمازيغية كان في حاجة إلى بصمة معاصرة وعنوان في الأزمنة الحديثة، فجاء نوفمبر العظيم ليعطيه الطبعة الغائبة أو الناقصة ويثبت هوية طالما تعرضت للمسح والتشويه وطالما كانت موضوع غمز ولمز وتشكيك.

الجزائر الوطن والشعب والتاريخ والاقتصاد والسياسة والثقافة كنز ثمين وخرانة عامرة لا يفتحها إلا الذي يأتيها من بابها ويمفتحها الصحيح الذي هو نوفمبر بكل أبعاده ومضامينه، كما جاءت في بيان 54 أما عدا ذلك فستبقى عصية ممتنعة غير قابلة للانقياد أو الترويض.

التحرير

## الكنز والمفتاح

المسكونون بالوطن يكابدون من أجل أن تبقى شعلة نوفمبر عالية ودليلهم في الطريق للنأي بالوطن عن الأسباب التي جعلتهم في يوم من الأيام فريسة سائفة لأقل من أربعين ألف عسكري فرنسي.

الجزائريون المسكونون بالوطن المتعاطون لهمومه ما يزالون يعضون على نوفمبر بالنواجذ مستمسكون بقيمه وأهدافه وروحه لأنهم يؤمنون بمقولة القائلين بأن لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ونوفمبر العظيم هو الأب والجد والسلف لكل أجيال الاستقلال حتى وإن تهاون البعض منها في العودة إلى محرابه وتناسى البعض الآخر رموزه وأمجاده.

الجزائر بخير وستظل بخير ما بقي نوفمبر هو المنارة.

فكلما اقترب الجزائريون من روح نوفمبر ومبادئه كلما ازدادت الجزائر قوة وعزة، وكلما زهد الجزائريون في قيم نوفمبر وابتعدوا عن روحه تعرضت الجزائر إلى زلازل وهزات، وليس على من يشك في ذلك، سوى العودة إلى

كانت تتخر عظام الأمة الجزائرية وتنهش روح الثورة والتمرد على الغاصب.

نوفمبر 54 كان بمثابة السيروم والترياق الذي أعاد الحياة إلى جسم تكالبت عليه قوى الاندماج والانمحاء في الآخر وقوى العمالة والانبطاح التي فقدت كل إحساس بالذات ولبات راضية بالهوان والسخرية للمحتل الغاشم.

إذا كانت الوطنية الجزائرية سابقة على نوفمبر ومنها وعلى تربتها الخصبة قد ولد وخرج إلى الوجود، فإن نوفمبر العظيم هو الذي أعطى الوطنية الجزائرية المضمون العملي والمحتوى المادي لأنه اليوم الذي اهتدت فيه الحركة الوطنية إلى حتمية تجميع كل الروافد والسواقي والشعاب لتصب في نهر واحد جارف وهو نهر جبهة التحرير الوطني لاكتساح الجزائر من الحدود إلى الحدود وتطهيرها من كل ألوان الهيمنة الاستعمارية وكل أشكال الخضوع والخنوع والعمالة.

منذ ذلك اليوم الخالد الذي قرر فيه الجزائريون نقض غبار الذل عن برنوسهم والجزائريون

● إذا كانت الجزائر وطننا فإن نوفمبر هو عنوانه... كل قاصد للجزائر لا يعرف هذا العنوان، هو تائه بالضرورة.

كل من يريد معرفة الجزائر، يتوجب عليه الدخول إليها من باب نوفمبر، فهو الباب الصحيح والمدخل السليم للولوج في الجزائر العميقة في أبعادها التاريخية الحضارية وفي حاضرها المتأهب.

المفتاح الوحيد لهمم جزائر اليوم، واستيعاب عقلية أناسها وطموح شبابها وحكمة شيوخها هو مفتاح نوفمبر 54، الذي ما يزال وحده القادر على فتح طلائع ومعضلات الجزائري المعاصر وعنفوان شبابه الثائر.

الجزائر ونوفمبر بالحقيقة إسمان لشيء واحد.. فالجزائر هي التي أخرجت من أرحامها نوفمبر، ونوفمبر هو الذي انعطف بالتاريخ فأعاد الجزائر إلى الوجود، بعد أن أحالها الاحتلال رميما، والجزائريون منذ ذلك اليوم الأغر، لا يسكنون وطننا إنما الوطن هو الذي يسكنهم ويحتل كل سنتمتر من أناسهم المادية والمعنوية، بقدر ما كانت ولادة نوفمبر عسيرة ويقدر ما كان المخاض شاقا، ويقدر ما كانت فترة الحمل طويلة كان نوفمبر عاتيا عنيقا أتى في طريقه ليس على المستعمر المحتل فحسب، ولكن أيضا على الكثير من الأمراض والاعتلالات التي





# إحالة الأفلان على المتحف .. من المستفيد؟

تشكل الاحتفالات بالمناسبات التاريخية، على غرار ذكرى اندلاع ثورة التحرير، ساحة لفتح النقاش حول ملفات هامة وحساسة، من بينها ما يسمى بإحالة جبهة التحرير الوطني على المتحف باعتبارها «إرثا مشتركا لكل الجزائريين»، فالترجيح لهذه الأطروحة لا يستهدف فعلا حماية الذاكرة الجماعية، بل يرتبط بتلك المساعي المتكررة لقبور كل يرمز إلى التاريخ الثوري، وتصفية رمز من الرموز ليخلو الجو أمام فرص التموقع السياسي، أو تشويه التاريخ والاتفاف حول مطالب الاعتراف والاعتذار.

■ ق. مصطفى

● تخليد ذكرى اندلاع ثورة التحرير، قد يشكل لدى الكثيرين، فرصة لإثارة حساسيات لها علاقة مباشرة بالذاكرة الجماعية للجزائريين، فمحاولات التشويه لا تكون فقط عبر تمجيد الاستعمار والإصرار على تزوير الحقائق التاريخية أو التستر على الجرم الاستعماري، بل تتم أيضا من خلال المساس بكل الرموز المرتبطة بالنضال الثوري ضد الاستعمار، وعليه فإن أطروحة «إحالة الأفلان على المتحف» تندرج ضمن هذا الهدف الذي تلتقي حوله بعض الإيرادات الداخلية وحتى الخارجية. إن الذين يتبنون الدعوة لشطب الأفلان من المشهد السياسي، ونقص في هذا الباب الطرف الداخلي، إنما يفعلون ذلك إما لافتكك مواقع في الساحة السياسية عبر التميز والتفرد وتبني مواقف شاذة، حتى وإن كانت تسيء لهم ولتاريخ البعض منهم على المدى القريب أو المتوسط، ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار التلهي بأطروحة «استرجاع الأفلان» مجرد أناس يعانون من العطالة السياسية، أو يؤدون مهمات حسب الطلب لأطراف تسعى إلى إقصاء الجبهة من المشهد السياسي، والترتيب لخارج في حال ما إذا تعثر المسار الإصلاحي ووجد صنّاع القرار أنفسهم أمام خيارات راديكالية، ويعني آخر تقديم الحزب العتيد ككيش فداء لتمرير الإصلاحات مع ضمان ديمومة النظام، وهو ما حصل إلى حد ما في بداية التسعينيات لما دفع الأفلان فاتورة التحول، رغم أنه كان قائد التحول الديمقراطي في البلاد، والكلمة يتذكر كيف دفع حزب جبهة التحرير الوطني التحول الذي حصل، فعانى الحصار، ثم واجه حملة تشويه والتزوير ومصادرة إرادة الناخبين خلال محليات وتشريعات 1997.

أطروحة إحالة الأفلان على المتحف كانت في الغالب مجرد وسيلة للانتقام يقوم بها عادة أشخاص فقدوا مقاليد المسؤولية داخل الجبهة، وهؤلاء ينقسمون إلى ثلاثة أقسام أو أكثر، فمنهم أسماء تاريخية لا يمكن تجاوزها، تعتبر نفسها من صنّاع الجبهة، وترى أنه من حقها أن تضع الجبهة حيثما شاءت، ويعتقد جزء من هؤلاء بأن الأفلان وجد للنضال من أجل الاستقلال فكان حركة جامعة التحق بها كل من آمن بالنضال التحرري، وبانتهاء هذه المهمة التي أودتها الجبهة بكل أمانة، لا بد من وضعها في المتحف لحفظ مكانتها وقديستها، فالملطوب هو أن تظل الجبهة ذلك الإطار المقدس الذي تنصهر فيه مختلف التوجهات، إطار له بعد تاريخي مرتبط بأكثر المراحل التي مرت بها البلاد إشرافا، تخلى فيها الجميع عن باقي قناعاتهم من أجل الالتحام حول قناعة واحدة وهي دحر الاستعمار وتحقيق الحرية والاستقلال.

## المتحف: حلف ساركوزي وبعض الجزائريين..

تسببت التصريحات التي أطلقها وزير الخارجية الفرنسي السابق، اليساري الذي لبس عباءة اليمين، برنار كوشنير، في شبه أزمة دبلوماسية بين الجزائر وباريس، فالرجل قال بأن تحسن

العلاقات بين الجزائر وفرنسا مرهون بنهاية الجيل الذي صنع ثورة التحرير، ولا ندري هل كان يقصد انتظار عامل الزمن، أي وفاة آخر مجاهد وأخر مسؤول له علاقة بثورة التحرير، أم المقصود هو إزاحة هذا الجيل من دواليب الحكم في الجزائر. وبغض النظر عن ذلك، فإن كوشنير وضع شرطا لتحسن هذه العلاقات وأعلنها بمنتهى الوفاة بأنه لا مجال لكل محاولات إرغام باريس على الاعتراف بجرمها الاستعماري والاعتذار عنه. حكام فرنسا، خصوصا في عهد ساركوزي، لا يتعاملون مع أحداث التاريخ باعتبارها مسؤولية فرنسية، بل باعتبارها مسألة تتعلق بعقدة لدى جيل الثورة الذي يحكم الجزائر، وبدلا من أن يعمل هؤلاء على التخلي عن الثقافة الاستعمارية التي جعلتهم يواصلون على نفس الطريق ويعنون في تمجيد الماضي الاستعماري، نراهم يطالبون الجزائريين الخروج من جلدتهم، والتخلي عن تاريخهم والتزام الصمت أمام كل الإساءات التي تستهدف تاريخهم وقيمهم وشهيداتهم. قد تبدو الصورة جد واضحة لما يتعلق الأمر بالتحركات الفرنسية الهادفة على التخلص من جبهة التحرير الوطني باعتبارها رمزا لمرحلة تاريخية لا تزال تخرج حكام باريس وتذكرهم بواجب الاعتراف بجرائم الاستعمار الفرنسي وبعارهم الخزي في الجزائر، بل وفي كل المستعمرات الفرنسية الأخرى، لكن سرعان ما يبدو الأمر غامضا لما تصبح الدعوة لإقصاء الأفلان تأتي من مصادر داخلية، وحتى من جهات ثورية تحوز الشرعية التاريخية. والغريب أن تبني الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين حسب تصريحات صحفية المطالبة بإحالة الأفلان على المتحف يتزامن من جهة مع الاختلافات التي يعرفها الحزب العتيد، كما يتزامن مع ظهور تيار ينادي بإقصاء الجبهة أسوة بما حصل في بعض البلدان العربية التي عرفت «الثورة»، وتعبير آخر فإن البعض يريد التضحية بالأفلان ويقدّم قربانا للذين يريدون أدلة ملموسة على وجود إرادة لدى السلطة للذهاب نحو إصلاح سياسي ودستوري حقيقي. لقد سعى بعض النواب بالجلس الشعبي الوطني بزعامة النائب المتهم على حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، علي إبراهيمي لتقديم مشروع مشروع تعديل على قانون المجاهد والشهيد الصادر في 5 أبريل 1999. يتضمن تأميم الدولة للرموز الوطنية والثورة والتسميات المرتبطة بها، ومنع استعمال اسم جبهة التحرير الوطني من قبل أي تنظيم سياسي أو مدني، كخطوة قانونية لتحقيق هدف إحالة الجبهة على المتحف، وتضمن المقترح الذي جمع توقيعات 24 نائبا اعتبار جبهة التحرير الوطني رمزا من رموز الثورة، ومنع استعمال اسم جبهة التحرير من قبل أي تنظيم سياسي أو مدني، إضافة إلى جيش التحرير الوطني، بيان أول نوفمبر والعلم الوطني والنشيد الوطني والشهيد والمجاهد، وأرملة الشهيد ومقابر الشهداء، ومتاحف المجاهد والمآثر التاريخية، وكل ما يرمز إلى ثورة التحرير.

الحديث عن إحالة الجبهة إلى المتحف ليس وليد



اليوم، ولقد نسب للراحل محمد بوضياف هذه المقولة مباشرة بعد هدوء عاصفة أزمة صانفة 62، والواقع أن بوضياف طرح الفكرة من زاوية الصراعات التي تفجرت بعد الاستقلال، ومن زاوية التصورات التي كانت موجودة حول طبيعة النظام السياسي الواجب اعتماده بعد خروج الاستعمار، وجاء الدور على البعض ليتبنى هذه الفكرة التي يعتبرها الكثيرون مجرد «بدعة سياسية» وبشهرها متى سنحت الفرصة.

ولابد من قراءة تصريحات الراحل بوضياف ضمن سياقاتها التاريخية والسياسية، فالرجل وجد نفسه خارج اللعبة السياسية، وتحالفه مع ما سمي آنذاك بـ«جماعة تيزي وزو»، في إطار الصراع مع المكتب السياسي بزعامة بن بلة و«جماعة وجدة» التي يتزعمها الرئيس الراحل هواري بومدين، حتم عليه اتخاذ موقفا راديكاليا، خاصة وأن بوضياف سارع من جهته إلى تشكيل حزب جديد، وهو ما يعطى لدعوته طابعا شخصيا، وقد لا يختلف الموقف الذي تبناه فيما بعد زعيم جبهة القوى الاشتراكية، حسين أيت أحمد عن موقف بوضياف.

ولعل أكثر الشخصيات الثورية التي استماتت في المطالبة بإحالة الجبهة على المتحف هي شخصية السيناتور السابق جمال الدين حبيبي الذي طالب باستعادة الأفلان باعتباره، كما قال، إرثا مشتركا لكل الجزائريين، وتزعم حبيبي مجموعة من الشخصيات التي تناصره في هذا الطرح، لكن انحراف موقف حبيبي كان لما وصف الأفلان بأنه «جثة سياسية لم تجد من يدفنها»، ما يعطى لمواقفه الطابع الانتقامي، خاصة لما يقول أيضا بأن الأفلان أضحي «مرتعا للخنزرة والحركي»، مما يعطي صورة واضحة عن طبيعة الحروب التي يقوم بها دعاة المتحف وطبيعة الأفكار التي يتبنوها والتي لا تجد لها أحيانا حتى لدى أعداء الجبهة والمعادين للتيار الوطني عامة، كما يؤكد أيضا بأن حبيبي إنما ينطلق من أفكار ليس لها أي علاقة بأي قناعة سياسية قد يدعي الدفاع عنها، وتصريحاته جزافية وبها الكثير من التعميم الذي يوحي بأن الرجل إنما يمر بفترة من العطالة السياسية، وهو ما تأكد فيما بعد، حيث التزم الرجل بيته.

ومجرد انطلاق المشاورات حول الإصلاح السياسي، والتي قادتها كما هو معروف لجنة عينها الرئيس بوتفليقة ووضع على رأسها رئيس مجلس الأمة عبد القادر بن صالح، حتى تعالت أصوات من هنا وهناك تدعو إلى إقصاء الجبهة من الحياة السياسية، وأبرز هذه الأصوات لم يعد يتذكرهم الشعب الجزائريين، وجدوا في عملية الإصلاح ساحة للبروز عبر تبني خطاب استفزازي اتجه حزب الأغلبية ويبدو أن التجاذب الذي يعرفه الأفلان منذ فترة، وكل النزاعات الحقيقية أو الصورية التي تحصل داخل جسد الحزب أو على أطرافه، وظهر جماعة ترفع شعار «التقويم»، تجمع من حولها بعض القيادات وبعض المناضلين الغاضبين، شكلت تربة جد مناسبة لعودة أطروحة المتحف إلى الواجهة، وكان البعض يقول «إما أنا أو نهاية العالم»، أي بتعبير آخر فإن

## "ثورات الناقو" .. البديل..

قد يبدو التساؤل عن العلاقة المفترضة بين أطروحة المتحف وما يسمى بـ«ثورات الشارع العربي» غريب نوعا ما، لكن الغرض أكثر في تحليل هذه الظاهرة الجديدة، التي يفضل الغرب تسميتها بـ«الربيع العربي» يجعلنا نقف على شواهد كثيرة تؤكد كلها بأن «الثورات» التي يدعمها الحلف الأطلسي بصواريخ طائراته وبوارجه الحربية التي تجوب البحر المتوسط والبحر الأحمر طولا وعرضا، وتقف إلى جانبيها كل الدول الغربية وتدعمها سياسيا ودبلوماسيا، ليست بريئة، وأن الهدف الرئيسي من ورائها، هو إيجاد قيم قومية بديلة، والمقصود هنا هو تحويل «الثورات العربية» الجديدة إلى بديل للثورات ضد الاستعمار والتي شكلت على الدوام مصدر شرعية الكثير من الأنظمة العربية، ويمتد تأثيرها إلى الخيارات السياسية والإيديولوجية لهذه الأنظمة، وبمعنى آخر فإن الثورات ضد الاستعمار كانت دوما تشكل أساس السياسات الخارجية لبعض الدول العربية، وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها بوضوح في تونس ومصر وخصوصا بلبيبا التي تشكلت فيها شرعية ثورية جديدة مزجت بشكل شاذ وغير مسبوق في تاريخ العرب والمسلمين، بين الشعوب والقوى الغربية التي صنعت «انتصارها».

تصنيفه الأحزاب القومية والتاريخية المرتبطة عضويا بمرحلة الكفاح ضد الاستعمار يعتبر هدفا من الأهداف المباشرة لحركات الشارع العربي، أو بالأحرى القوى التي تقف وراء هذه الحركات، وكل المطالب التي يعبر عنها البعض لما يحاول الربط بين عملية الإصلاح وما يسمى باسترجاع الأفلان باعتباره إرثا مشتركا لكل الجزائريين، إنما تعبر عن هذا التوجه، حتى وإن تحرك أصحابها أو البعض منهم ببراءة ودون قصد خدمة السيناريوهات الغربية المشبوهة. فالذين يسعون إلى إقصاء الأفلان من المشهد السياسي، يعلمون يقينا بأن الجبهة تختلف عن باقي أحزاب الأنظمة في الكثير من الدول العربية على غرار الحزب الوطني في مصر، وحزب البعث في سوريا والأرسيدي في تونس، والحزب العتيد هو الذي قاد عملية التحول الديمقراطي منذ أكتوبر 88، ويقف الآن في صف الإصلاح، وأما موقعه في الساحة فإنه قد حصل عليها ليس بفعل الشرعية التاريخية والثورية التي يحوز عليها، وإنما بفضل الشرعية الديمقراطية التي حصل عليها من خلال الثقة التي منحه إياها السواد الأعظم من الجزائريين خلال الكثير من الاستحقاقات الانتخابية، وعليه فإن إقصاءه لن يكون بجرة قلم، وليس من حق أي كان أن ينوب عن الشعب الجزائري ليقدر من الذي سيبقى في الساحة السياسية ومن عليه مغادرتها.

## الجيش الوطني الشعبي سليل جيش التحرير الوطني

## احترافية، عقيدة عسكرية.. ووفاء للوطن



العسكرية، وهناك عوامل كثيرة ومتشابهة فرضت ضرورة الذهاب إلى خيار الاحترافية وأول هذه الضرورات هو التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي شهده العالم في العشرة الأخيرة، ولم يقتصر هذا التطور على مجال الأسلحة الفتاكة أو تكنولوجية الاتصالات الضخمة والمعقدة، وإلا أيضا على الاستراتيجيات العسكرية التي لم تعد بشكلها التقليدي الذي يعتمد على قوالب قديمة كانت في السابق هي من يحسم المعركة ضد العدو في الميدان.

لقد شمل مشروع احترافية الجيش مختلف الجوانب التنظيمية والبشرية والعلمية ومجال الحصول على التكنولوجيا والتكيف مع النظريات التي تسير الجيوش الحديثة، وشمل أيضا مسألة في غاية الأهمية تتعلق بتحديث الترسانة التي بحوزة الجيش الجزائري من الأسلحة، وتنوع مصادرها والتكيف بشكل أكبر على تطوير سلاح الجو.

وتشير المعطيات الرسمية المتوفرة إلى أن السلطات خصصت بين 1963 و1998 حوالي 10 مليارات دولار بغرض اقتناء أسلحة عصرية ومتطورة، غالبيتها جرى جلبها اعتبارا من مطلع التسعينات لاعتبارات ميدانية فرضتها مكافحة الإرهاب ودعم احترافية الجيش، ويقسم المختصون مسار التسليح في الجزائر إلى ثلاث مراحل كبرى، بدأت الأولى مباشرة بعد الاستقلال، واعتمدت بشكل تقليدي على الاتحاد السوفيتي سابقا والمعسكر الاشتراكي بشكل عام، وقد اقتصر صفقات التسليح آنذاك على المجالين البري والجوي فقط، بينما شهدت المرحلة الثانية اعتبارا من العام 1974، تحولا بسبب مخلفات أزمة الطاقة آنذاك، بالتزامن مع بروز خلاف مع المغرب بسبب غزوه للصحراء الغربية، علما أن هذه المرحلة الثانية تميزت بالتركيز على تنوع مصادر اقتناء السلاح مع شركاء متعددين محسوبين على المعسكر الاشتراكي، ودخول فرنسا على الخط، إثر العودة التدريجية للعلاقات الجزائرية الفرنسية.

أما المرحلة الثالثة في مسار التسليح في الجزائر، فقد انطلقت حسب العديد من المختصين العام 1984، ولا تزال مستمرة بتقديرهم إلى غاية اليوم.

وقد دخلت الجزائر منذ سنة 1999 في مرحلة تطوير جيشها وجعله محترفا وفقا لمعطيات جيو إستراتيجية عديدة اتسمت بظهور أحادية القرار على المستوى العالمي وبرز ظاهرة الإرهاب، وعليه عملت الجزائر على التعاطي مع هذه المتغيرات بتنوع مصادر توينها بالسلاح التي كانت مقتضرة على روسيا، ومن إفرازات ذلك ما يميز العتاد العسكري الجزائري حاليا بمختلف أنواعه، إذ جرى جلبه من فرنسا، الصين، الولايات المتحدة، بريطانيا، باكستان، جمهورية التشيك، فضلا عن روسيا الحليف التقليدي.

انتعاش أسعار المحروقات وتقن الجزائر من تقليص دينها الخارجي إلى جانب ارتفاع احتياطي الصرف إلى مستويات قياسية، وفر إمكانية تسليح كبيرة للجزائر، بحيث توقعت كأحد أكبر الشركاء في منطقة جنوب المتوسط، وجعل اقتناء أسلحة حديثة أمرا حتميا.

وقد أظهر مشروع الميزانية إصرار السلطات على مواصلة احترافية الجيش وتحديثه ورفع ميزانية الدفاع، وتوسيع الجزائر، من خلال رفع هذه الميزانية، إلى استغلال تحسن وضعها المالي وارتفاع عائدات النفط لتنفيذ برنامج احترافية الجيش وتطوير معداته وتجهيزاته الحربية وعقد صفقات عسكرية.

اغتالت الرهبان، وأن اغتيالهم تتحمله بالدرجة الأولى قيادة الفرع الخارجي للمخابرات الفرنسية آنذاك التي لم تعترف كيف تسير الملف.

## الاحترافية والمفهوم الجديد للدفاع

قبل التطرق إلى مسألة الاحترافية التي تعتبر في الواقع كمشروع متواصل يتحقق بالتدرج وعلى مر السنوات، لا بد من الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالمفاهيم الجديدة للدفاع الوطني التي استوعبها الجيش الجزائري جيدا وسعى إلى تكريسها عبر الندوات الكثيرة التي تم تنظيمها على مستوى المؤسسة أو بالشراكة مع المؤسسات المدنية الدستورية الأخرى. فمقتضيات الدفاع في أبعادها الجديدة والتي تولدت عن نضج مفهوم الدفاع، وتعد إشكاليات الدفاع وتوسع مهام الدفاع وتداخله مع هيئات وأجهزة أخرى، فرض منظورا جديدا قائما على إشراك المواطن في منظومة الدفاع الوطني بأشكال وصيغ مختلفة، والمعروف أن الجيوش الحديثة لم تعد تنظر إلى الدفاع الوطني من



زاوية عسكرية وقتالية بحتة، ولكن من زوايا عديدة، تتداخل فيها العوامل الاجتماعية والسياسية والدبلوماسية مع المهام الدفاعية الصرفة. وبين هذا المفهوم الجديد للدفاع الوطني ومشروع الاحترافية صلبة قوية، وتحقيق مشروع الاحترافية شكل صلب اهتمامات السلطات والمؤسسة

تتار العديد من الإشكاليات حول المؤسسة العسكرية في الجزائر، وإذا كانت قضايا التسليح وخصوصا مشاريع الاحترافية وتطوير القدرات التكنولوجية تحظى بأهمية كبيرة باعتبارها أساس وجود وأهم أهداف أي جيش، فإن عقيدة هذه المؤسسة في الجزائر وعلاقتها بأنساق النظام ودورها في الفضاء السياسي، لا يزال يشكل أهم الزوايا التي تسترعي اهتمام الباحثين بصفة عامة، فما يميز الجيش الجزائري بالدرجة الأولى هو هذه العقيدة، وهو أيضا وقبل كل شيء ارتباطه الوثيق بالتاريخ الثوري للبلد ومقدساته، باعتباره سليل جيش التحرير الوطني.

## ■ ق. مصطفى

يرتبط تاريخ المؤسسة العسكرية في الجزائر بشكل وثيق جدا بالتاريخ الثوري، وربما قل ما نجد جيشا في العالم يشبه الجيش الجزائري في تواصله بالمرجعيات الفكرية والعقائدية للوطن، والحديث عن أطروحة «الجيش الوطني الشعبي هو سليل جيش التحرير»، ليست مجرد عبارة جوفاء موجهة للاستهلاك تندرج ضمن محاولات كسب الشرعية أو تبرير سلوكيات معينة، فالمؤسسة العسكرية في الجزائر هي مؤسسة انبثقت على عقيدة الارتباط الوثيق بالشعب الذي يشكل عمودها الفقري، وكل المحاولات التي رأيناها في السابق أو حتى في الآونة الأخيرة للتعرض إلى شرف الجيش الجزائري، أو محاولة تشويهه من خلال اتهامه بالتورط في مجازر ضد المدنيين خلال عشيرة الإرهاب، جاءت كلها بالفشل، والسبب الرئيس هو التمازج القائم بين الجيش كمؤسسة والمجتمع الجزائري الذي ظل يحافظ على نظرة قريبة من التقديس لمؤسسة ولدت من رحم جيش التحرير باعتباره رمزا للتضحية والتحرر والاستقلال.

## المرجعية الثورية

لقد شكل التحليل الذي قام به الباحث وعالم السياسة وليام زرمان منذ عقود حول طبيعة المؤسسة العسكرية في الجزائر، أساسا للعديد من المحاولات الفكرية والإعلامية والدراسات الأكاديمية، في المجالين السياسي والسياسي، والسبب أن زرمان يعتبر من الباحثين القلائل الذين تطرقوا إلى الجوانب العقائدية للمؤسسة العسكرية في الجزائر، مع أن دراسته انطلقت أساسا من محاولة فهم تدخل الجيش الجزائري في السياسة والعودة إلى العوامل التاريخية وحتى الاجتماعية للجيش الوطني لتفسير تدخل العسكر في السياسة، وقد أغفلت هذه الدراسة، حينها، محاولات فهم الجوانب العقائدية الأيديولوجية والفلسفية التي جعلت الجيش الوطني يحافظ على الجبل السري الذي يربطه بسلفه، أي جيش التحرير.

لقد سبق لوزير الدفاع السابق في عهد الرئيس زروال، اللواء خالد نزار، في إطار محاولاته للرد على الذين يتهمون المؤسسة العسكرية بالتدخل المفرط في السياسة، ويحملونها العديد من الأخطاء التي نتجت عن هذا التدخل، خاصة بعد وقف المسار الانتخابي في جانفي 92، وما رافق ذلك وما ترتب عنه من استثناء العنقد ودخول البلاد في دوامة الإرهاب، أن أوضح في إحدى حواراته إلى إشكالية السياسة والجيش، بأن الجيش أرغم على ممارسة السياسة في إشارة واضحة إلى الظروف التي أحيطت بوقف المسار الانتخابي، لكن مع هذا يبقى الشيء الكثير الذي يمكن قوله حول علاقة الجيش بالسياسة سواء في عهد الأحادية التي كان فيها الجيش يمارس السياسة بشكل علني، أو في عهد التعددية وما قيل عن أدوار الجيش الظاهرة أو المستترة في صنع السياسات وفي اتخاذ القرارات المصيرية.

نزار لا ينكر تدخل المؤسسة العسكرية في الشأن السياسي وإنما يحاول تبرير التدخل، وعليه نكتفي هنا بالإشارة إلى نقاط نعتبرها مهمة لفهم عقيدة الجيش الجزائري، وطبيعة العلاقة التي تربطه بباقي أنساق النظام وبالفضاء السياسي، ومنطلق هذا الفهم يتطلب أولا أن ندرك بان الجيش الجزائري، قد ورث عن جيش التحرير الوطني، الكثير من الأشياء، ففضلا عن المرجعية الأيديولوجية والفكرية، ورث عنه حب التضحية وارتباطه الشديد بالوطن، وعلاقته الوثيقة بالشعب الذي يشكل ركيزته الأساسية، فالبلبة الأولى التي تشكلت منها الجيش الوطني بعد 62 كانت من المجاهدين الذين واصلوا النضال وفق رسالة جيش التحرير من خلال المساهمة في تأطير الدفاعات الأولى من هذه المؤسسة التي أنجبت فيما بعد إطارات عسكرية عالية لا تزال في الخدمة إلى حد الساعة.

إذن، الجيش الوطني يشكل في الواقع أحد أهم أعمدة حماية الاستقلال الوطني، ومن هذا المنطلق فإن المؤسسة العسكرية في الجزائر كانت ولا تزال ترمز إلى

## مواجهة الإرهاب ومحاولات التشويه

شكل اندلاع مسلسل العنف الإرهابي في بداية التسعينيات أكبر تحدي أمام الدولة الجزائرية، وأمام المؤسسة العسكرية بالدرجة الأولى التي كان عليها القيام بواجباتها الدستورية والمتمثلة في الذود عن الوطن واستقراره ورد الأخطار التي كانت تتهدده، وليس جديدا إذا قلنا بأن الجيش، وبمعية باقي المؤسسات الأمنية الأخرى فضلا عن المقاومين، كان له الفضل في هزيمة الإرهاب ميدانيا وفي كسر شوكة أوية الموت والقضاء على عناصرها، وعرف الجيش بفضل قناعة أبنائه وارتباطهم الوثيق بهذا الوطن، كيف يقبل المعركة ضد الإرهاب، ويحصر رقعة النشاط الإرهابي بشكل كبير جدا، وهذه مهمة ليست بالسهلة وقد عجزت عن تنفيذها أعتى الجيوش في العالم.

وبطبيعة الحال فإن مسيرة مكافحة الإرهاب هي مسيرة شاقة ومكلفة وقد خلفت الكثير من الضحايا، فالجيش الوطني واجه الإرهاب كتحدٍ أمني وأخلاقي أيضا، وواجه أفة العصر بنفس العزيمة في وقت كانت فيه بعض الدول التي تورطت فيما بعد في الإساءة للجيش الجزائري، تصف المجموعات الإرهابية بـ«المعارضة المسلحة».

الإساءة التي واجهها الجيش الجزائري في منتصف التسعينيات وحتى في الآونة الأخيرة كانت بمثابة تحدي يفوق في خطورته تحدي الإرهاب نفسه، و«الشهادات» التي تهاطلت من كل حد وصوب تتهم الجيش بالتورط في المجازر التي ارتكبها الإرهاب ضد المدنيين في بن طلمة والرايس وسيدي حماد وغيرها، كانت عبارة عن حرب جديدة ضد المؤسسة العسكرية ومن خلالها ضد الدولة الجزائرية، باعتبار أن المؤسسة العسكرية في الجزائر هي من بين أكثر المؤسسات تنظيما وقوة.

وحتى تتضح الصورة أكثر فيما يتعلق بحملة الإساءة ضد الجيش الجزائري، نذكر هنا بملف رهبان دير تيجيرين بالمدينة الذي يعتبر من بين أهم الملفات التي تم توظيفها لضرب المؤسسة العسكرية في الجزائر، وإفادات الجنرال الفرنسي المتقاعد فرنسوا بوشواتر أمام قاضي التحقيق الفرنسي، لم تكن سوى حلقة من حلقات مسلسل التحامل

على جيش الجزائر، رغم تصريحات وزير خارجية فرنسا السابق وسفيرها في الجزائر سابقا، فضلا عن المسؤول السابق عن جهاز الأمن الداخلي الفرنسي «دي أس تي» الذين أكدوا بشكل واضح وصريح بأن الجماعة الإسلامية المسلحة «الجيا» بقيادة زيتوني هي من



# جبهة التحرير . القوة الجامعة

قبل سبع وخمسين سنة من اليوم ظهرت جبهة التحرير الوطني إلى الوجود ومنذ ما يقارب خمسة عقود دأبت مدرسة الجزائر المستقلة على تلقين الأجيال المتعاقبة قاعدة غاية في البساطة تقول أن الجبهة جاءت لتعويض العمل الحزبي الذي آل إلى الفشل وبعد نصف قرن تعود الجبهة بديلا عن المغامرة والمجهول.



الجزائر كان الوقت متأخرا جدا وكانت أحداث أكتوبر 1988 قد فتحت الباب أمام التعددية حتى قبل أن يتم تعديل الدستور، وكان هذا هو الامتحان الأول لجبهة التحرير التي كان عليها أن تتحول إلى حزب حقيقي يحتكم إلى قواعد التنافس السياسي ويتخلص من رواسب البيروقراطية التي علته طيلة سنوات الاستقلال، وقد كانت نتائج أول انتخابات تعددية في البلاد قد بينت بوضوح أن الجزائريين يبحثون عن التغيير وهم يعتقدون أن جبهة التحرير هي النظام وأنها تتحمل مسؤولية كل الأخطاء التي حدثت والمآزق التي آلت إليها الجزائر. ويقدر ما كان ذلك الحكم قاسيا بقدر ما ساعد في إعادة بعث جبهة التحرير كحزب سياسي نشيط لا يجلب فلول المنتفعين والانتهازيين ولا يقوم بتوزيع الريع دون حساب وستكون أمام الجزائريين فرص أخرى ليتأكدوا بأنهم لا يزالون بحاجة إلى هذا الذي يسمونه الحزب العتيق.

فبعد إلغاء المسار الانتخابي برزت جبهة التحرير الوطني كفاعل أساسي على الساحة السياسية من خلال الدعوة إلى المصالحة الوطنية، وقد برزت مجددا صورة القوة الجامعة التي تستطيع أن تتنوع أهم الفاعلين بالنزاع من أجل إنقاذ البلاد تماما مثلما حدث أثناء الثورة خلال السنوات الأولى من الأزمة، استطاعت الجبهة أن تجلب المزيد من المناضلين والمتعاطفين متجاوزة الصورة النمطية التي رسمت لها بوصفها حزب الجيل الذي خاض الثورة، وتبين أن الخطاب الوسطي الجامع أصبح مطلباً للملايين الجزائريين الذين خيروا خيارات أخرى لعبت ورقة التشدد في مختلف الاتجاهات، وتبين أيضا أن الوسطية والتوازن ليسا مرادفين للغة الحشوب وأنهما ضروريان لحماية البلاد من الانزلاق نحو الهاوية.

قدر لجبهة التحرير الوطني أن تظهر إلى الوجود كبديل عن الفشل السياسي وقدر لها أن تعود إلى الواجهة كقوة سياسية أولى بعد أن اختارها الجزائريون كبديل عن المغامرة السياسية، وعندما كان الناخبون يختارون الجبهة كانوا يؤكدون أن الجزائريين لازالوا بحاجة إلى هذه الدار التي يأوون إليها جميعا، ثم إنه قدر لجبهة التحرير أن تحتفل بسبع وخمسين سنة على تأسيسها وهي تسعى إلى دعم موقعها في الساحة السياسية، ومرة أخرى كانت القاعدة هي التي تعطي المثال في الصبر والالتزام وهي قيم سيكون على قادة الحزب استلهامها حتى يكونوا في مستوى آمال هؤلاء الذين يقولون أن الجزائر لا تزال بحاجة إلى حزب جبهة التحرير الوطني.

دليل على أن هناك عملا قد تم إنجازه في إطار الوفاء بالعهد المقدم للشعب الجزائري في نوفمبر 1954. ولعل التأثيرات اللاحقة للتعددية وشيوع ثقافة الديمقراطية على المستوى العالمي وليس المحلي فحسب، قد سلخ المسألة عن سياقها التاريخي. فجبهة التحرير كحزب سواء كان بيده الحكم أم لا طور خطابا سياسيا يقوم على إعطاء الأولوية لتعزيز استقرار الدولة وتنمية البلاد ولا أحد يستطيع أن ينكر أن المجتمع لم يطور آليات للمعارضة السياسية طيلة عقدي الستينات والسبعينات وكل الذي شهدته البلاد هو محاولات فاشلة لتغيير النظام أو معارضة مقطوعة عن الشعب.

وفي هذا السياق لا يمكن الأخذ بالتبريرات الجاهزة التي تقول أن الشعب الجزائري لم يكن واعيا وهو أمر ثبت عكسه من خلال موقف تلقائي معارض للاقتتال الداخلي في صيف 1962 وربما سيكون أكثر جدية الانتباه إلى أن الجزائريين كانوا أكثر لرفع تحديات أخرى اقتصادية واجتماعية وقد كان خطاب جبهة التحرير يسير في هذا الاتجاه. قد يكون من البلاء الاعتقاد بأن كل الجزائريين كانوا يفكرون بعقل رجل واحد طيلة عقدي الستينات والسبعينات، فلا يمكن نكران حقيقة أن جبهة التحرير الوطني في تلك الفترة فقدت الكثير من حيويتها وتحوّلت إلى جهاز إداري ولا أحد ينكر أن الحزب الذي يمارس السلطة فعليا أو ظاهريا سيكون مثل تلك الجبهة التي أسسها مناضلون اقتنعوا أن الحل يكمن في حمل السلاح وفي التخلي عن الجدال السياسي العقيم، ولم تكن ضرورات الدولة كما رآها الذين مارسوا السلطة لتجعل من جبهة التحرير تتسع لكل التيارات السياسية، غير أن هذا لم يكن ليمنع بروز حساسيات داخل الجبهة ستجعل منها الأرض التي تنبت معظم الأحزاب التي ستظهر لاحقا في عهد التعددية، ومرة أخرى سيتضح أن الخلاف السياسي في الجزائر يكاد يكون شخصيا أو هو ليس أيديولوجيا محضا على أقل تقدير.

عندما طرحت فكرة التعددية في الجزائر جاءت بصيغة المناير التي ستستحدث داخل جبهة التحرير الوطني ولو كتب لهذه الفكرة أن تطبق لكانت الجبهة قد عادت فعلا إلى الأصل باعتبارها إطارا يضم الجميع على اختلاف ميولهم السياسية ويتم من خلاله التصدي للقضايا الحيوية التي تهم البلاد، غير أن تلك الفكرة طرحت خارج السياق المناسب زمنيا، فرياح الديمقراطية التي هبت عاصفة على كل أنحاء الأرض في النصف الثاني من ثمانينيات القرن الماضي لم تترك مجالا لأنصاف الحلول، وحتى في

يقف ضده لا يمكن إلا أن يكون في صف فرنسا، فلم يكن الهدف المحدد أي التحرير يحتمل فتح الباب أمام الجدال السياسي الذي كان سببا في إطالة أمد الاحتلال أو هكذا قدر قادة الجبهة ومناضلوها السياسيون ومجاهدوها على الأرض وسيكون هذا أهم ما سيطيح العلاقات داخل جبهة التحرير طيلة فترة الثورة لتمتد آثاره لاحقا على الجزائر المستقلة. لقد حققت جبهة التحرير الهدف الأساسي الذي ظهرت من أجله وهو تحرير البلاد من الاستعمار وكان السؤال الكبير الذي طرح بعد الاستقلال هو ماذا بعد التحرير؟ لا تشير الوثائق التاريخية أو الكتابات التي تناولت ثورة نوفمبر والسنوات الأولى للاستقلال إلى فكرة حل جبهة التحرير الوطني، فلم يكن هذا المطلب مطروحا رغم الخلافات العميقة التي برزت بداية من صيف 1962 ربما كان الهدف الآخر الذي أشار إليه بيان نوفمبر وهو بناء الدولة قد ارتبط بجبهة التحرير في أذهان قادتها ولم تكن فكرة الحل لتطرح مادام هؤلاء هم الذين سيتولون مهمة البناء، غير أن رفقاء السلاح اختلفوا وانفردت عقدة القادة إلى درجة أنهم حملوا السلاح في وجوه بعضهم البعض، كان كل فريق يتهم الآخر بالانحراف عن مبادئ جبهة التحرير وأهداف الثورة، وهذا يكفي دليلا على أن المرجعية كانت واحدة، ومثلما اختلف السياسيون والعسكريون في تأويل المبادئ اختلفوا أيضا في كيفية تسيير الدولة المستقلة ولم تكن الخلافات التي ظهرت بعد الاستقلال ناجمة عن تناقضات أيديولوجية ولم تبرز الرغبة في إعادة إحياء الأحزاب التي كانت قائمة قبل 1954، بل العكس هو الذي حدث حيث ظهرت أحزاب سياسية جديدة في السنوات اللاحقة من أجل حمل المشاريع السياسية البديلة التي طرحها المعارضون من قادة الثورة.

لم يكن الذين استلموا مقاليد الحكم بعد 1962 ليزهدوا في جبهة التحرير الوطني وهم يعلمون جيدا أن لا صدى لدى الشعب الجزائري دون هذا الرمز، وبين بن بلة وبومدين بقيت الجبهة هي العنوان رغم أنه لا مجال للحديث عن تطابق بين سياسات الرجلين، وهنا يفتح باب الجدال، فكل الذين تناولوا موضوع جبهة التحرير الوطني طيلة الفترة الممتدة من 1962 إلى غاية بروز التعددية السياسية سنة 1989 يجمعون على القول بأن الجبهة كانت أداة للحكم ولم تكن تحكم بالفعل وهذه الصيغة تبرئ الجبهة من تهم كثيرة، غير أن الخطاب السياسي لجبهة التحرير الوطني يبدو أكثر جراءة، حيث أنه لا يركن إلى هذه التبرئة بل يذهب إلى حد تحمل المسؤولية باعتزاز من منطلق أن الأخطاء حق وهي

## نجيب ب

● ربما لم يكن اختيار تسمية الجبهة مقصودا به على وجه الدقة ذلك المعنى المعتمد من قبل علماء السياسة الذين يعتبرون أن الجبهة تعني تجمعا لتيارات سياسية مختلفة حول أرضية عمل مشتركة لتحقيق هدف أو جملة أهداف محددة بوضوح، غير أن الواقع كان كذلك. فالجبهة كانت التنظيم السياسي الجديد الذي يفتح أبوابه للجميع دون تمييز بين مختلف التيارات السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وكان الشرط الوحيد هو الإيمان بالكفاح المسلح وسيلة للتحرير والانضمام كأفراد وليس كتنظيمات وبهذا تجب الجبهة ما قبلها وتصعب علامة فارقة في تاريخ الجزائر ومسيرتها نحو استعادة السيادة الوطنية. فهناك ما قبل ظهور جبهة التحرير وما بعد ظهورها.

كل الدلالات التي يحملها الاسم كانت حاضرة على أرض الواقع فالتنظيم الجديد يتشكل من مناضلين أغلبهم تكونوا في حزب الشعب الجزائري وهم جميعا لا يريدون أن يتحول التنظيم إلى حزب تعميحه الصرامة الأيديولوجية عن الهدف المذكور بوضوح في التسمية وهو التحرير أو تحرّمه من الاستفادة من خدمات بعض المناضلين الصادقين الذين يسعون إلى الإسهام في تحقيق الهدف العظيم الذي تم تحديده بدقة، ومن هنا كانت جبهة التحرير الوطني ثمرة لأوضح عقد يتوصل إليه الجزائريون منذ وقوع بلدهم في قبضة الاستعمار فلم يحدث قبل ذلك التاريخ أن تنازل السياسيون أو حتى المقاومون من أجل تشكيل جبهة واحدة وموحدة تسعى إلى التحرير وتؤجل كل المسائل الأخرى على أهميتها إلى حين، بل إن اعتبار ظهور جبهة التحرير الوطني كرد فعل على الفشل الذي آل إليه العمل السياسي يوحي بأن القاعدة التي انطلق منها المؤسسون الأفذاذ هي إنهاء حالة التشرذم السياسي التي أضعفت حظوظ الجزائريين في القيام بعمل جاد من أجل تصحيح مسار التاريخ بالتخلص من الاستعمار، وما حصل يمكن أن يوصف بأنه عقد بين قادة طرحوا بديلا مغايرا على الشعب وتركوا له الحكم عليهم.

بسرعة كبيرة تحول الولاء إلى التنظيم الجديد ولن يتردد هؤلاء الذين كانوا قد تعلموا أبجديات العمل الوطني على يد مصالي الحاج في مواجهة من كان لهم قائدا وأبا روحيا لأنه لأنه تردّد في الوقوف إلى جانب الثورة، وإذ تجاوز القادة الولاء لأحزابهم القديمة أو لزعمائهم السابقين فإن الملتحقين حديثا بجبهة التحرير كانوا يرون أن التنظيم هو الجزائر وأن كل من



المنطقة التي احتضنت علي خوجة تدك بمدافع فرنسا يوم العيد

# محرقة "Rivet" أو مجزرة "بقالم" المنسية

اعتبرها من عايش الحدث بالمجزرة المنسية التي لم يأت لها أثر في الكتب إلا النزر القليل. حدثت في مكان من جغرافيا الجزائر في منطقة كانت قبل الاحتلال الفرنسي تسمى بقالم نسبة إلى قبيلة أخذت لها حيزا من سهول المتيجة بعيدا عن أعين الحكم التركي بحوالي 25 كيلومترا جنوب الجزائر العاصمة حاليا، الواقعة شاهد من شواهد الهمجية الاستعمارية التي نفذها الجيش الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه هذه الأرض سنة 1830 والذي أبي إلا أن يبيد من عليها بسبب أو بدونه.



صورة لجزائريين مشتبه بهم في حي بن شعبان بتاريخ 11 ماي 1956

## ■ عمر ذلال

● ولا عجب أن تكون مجزرة «Rivet» أي «بقالم» التي سميت في العهد الاستعماري على أحد جنرالاته واحدة من الأحداث التي مازالت عالقة في مخيلة من شهد إزهاق أرواح زهاء 150 جزائريا عشية عيد الفطر وبالتحديد يومي 10 و 11 ماي من سنة 1956. وتذهب التقديرات إلى التأكيد أن عدد الضحايا يتراوح بين 400 إلى 650، حسب ما ورد في تقرير فرنسي جاء لتصحيح ما تداولته الصحافة الفرنسية آنذاك. تستوقفنا الذكرى مع حركة التاريخ الذي لا ينسى لنزيل الغبار عن جزء من ذاكرة هذه الأمة وبالتحديد هذه المنطقة التي قدمت من أبنائها المئات فداء للوطن و لم تردد لحظة عشية استقلالها أن تطلق على نفسها اسم الشهيد زالسي مفتاحس.

## المعمر "الريكات" صاحب المخبزة يتسبب في إزهاق أرواح 150 مسلما ليلة العيد

ما من أحد من مجاهدي مفتاح أو أي شخص آخر عايش المحرقة التي ارتكبتها المعمرين بمساعدة الجيش الفرنسي إلا ويسرد لك فطاعة عمليات التقتيل التي ارتكبت في آخر يوم من أيام شهر رمضان المعظم إلى يوم العيد، ما حدث لم يكن محض صدفة بل كان استكمالاً لعمل منظم استهدف المدنيين قبل «الفلاحة».

ففي يوم 10 ماي 1956 بينما كان سكان Rivet أو «مفتاح» حاليا يستعدون لاستقبال عيد الفطر وفي غمرة الصيام شرع أحد المعمرين المسمى «جيان» والمعروف باسم «الريكات» حاملا ساطورا إيدانا بالمجزرة التي شاركه فيها عصابة من المعمرين المنضوين تحت تنظيم عنصري والتي ذهب ضحيتها حوالي 150 مسلما ومسلمة وحسب تقرير فرنسي اجري بعد الحادثة فان الحادثة خلفت ما بين 400 إلى 650 قتيل.

وتعود أسباب الهيجان الذي دخل فيه هذا المعمر صاحب مخبزة وسط المدينة إلى مقتل أحد أبنائه من طرف واحد من القناصين الذين كانوا يترصدون له اثر توجهه إلى «ساناتوريوم» المستشفى حاليا والمتواجد بالمرتفعات في اتجاه المداشر المنتشرة في جبال المنطقة وإن كان المستهدف في هذه العملية هو الأب الذي كانت له حسابات مع من كانت تسميهم الإدارة الفرنسية بـ «الخارجين عن القانون»، حيث كان الحياز «جيان» حسب التقرير الفرنسي تسبب في مقتل شخصين من المنطقة كانت له خلافات شخصية مهم وكان هذا الحياز حسب ذات الجهة ذو سمعة

سيئة وسط السكان. لكن المسألة لم تتوقف عند هذا الحد بل إثر العثور على الجثتين في مكان يذكر أنه قريب من منطقة «ذويب» التي حدث فيها هجوم من طرف المجاهدين على وحدة للجيش الفرنسي قبل أيام محدودة فقط، فتوجه أقارب الضحيتين من أجل استخراج تصريح بالدفن لكن السلطات الإدارية رفضت بحجة أنهما ممن قام بأعمال مخالفة للقانون وضد الدولة الفرنسية، ولم تتمكن قيادة الثورة في المنطقة من تمرير الأمر بدون تسليط العقاب الذي يستحقه هذا المعمر.

## عمي سعيد زروق وعلي فراح وقصار أحمد وبن دحمان شهود يتجرعون ألم الذكرى

وهنا تستوقفنا آلام الذكريات مع بعض المجاهدين الذي عايشوا الواقعة عن قرب عمي سعيد زروق وعلي فراح وقصار أحمد وأيضا بن دحمان محمد شهود ما زالوا على قيد الحياة عبروا بألم كبير عن تلك اللحظات التي مر بها سكان «بقالم» ولأن بشاعة التنكيل وصلت درجة الحرق فإن ما تبعه من تعذيب وتنكيل لا يمكن تصوره. وأنت تستمع يتمعن إلى دقة التفاصيل التي يقدمونها لك عن المجزرة تستوقفك تلك العبرات التي تأتي أن تخرج عبر أحبال صوتية اختنقت من



جانب من دوار بن شعبان سنة 1956

تعبير المجاهد أحمد قصار. ويؤكد ذات المتحدث في هذا الشأن أن أغلب الضحايا كانوا من الغرباء عن المنطقة والذي كانوا يعملون في مزارع الكولون فوجدوا أنفسهم محاصرين بالقتل والتنكيل في حين لاذ بالفرار كل من وجد مكانا يختبئ فيه من أهل المنطقة الذين اغتم منهم الكثيرون ظلام الليل لتسلل نحو القرى والمداشر والمجاورة هربا من الموت المسلط على رقابهم.

لكن المجزرة لم تتوقف في يومها الأول بل تواصلت إلى يوم العيد 11 ماي 1956 حيث أشيع أن القضية لها علاقة بـ«الفلاحة» وهو ما دفع بالجيش الفرنسي للتدخل خصوصا بعد أن شوهه المجاهد رسولي محمد المدعو لولاش بدشرة بن شعبان التي لا تبعد كثيرا عن مركز «لاصاص» من طرف المعمر «سييرا»، وخوفا من أن يتم اكتشاف السلاح الذي كان يحمله فر ليلتحق بالمنزل لإخفاء السلاح وهو ما دفع بالمعمر «سييرا» لإطلاق النار عليه ليسقط شهيدا في حين كان يختبئ في داره عدد من المجاهدين الذين اغتنموا الفرصة للفرار عبر دوار الصفصاف حاليا نحو غابة الكونت الممتدة نحو سيدي حماد حاليا.

وفي هذه الأثناء أسرع المعمر سييرا نحو مركز لاصاص لإخبار الجيش الفرنسي الذي واصل عملية التقتيل التي كان شرع فيها قبل يوم المعمرين. وحسب التقرير الفرنسي الذي جاء ذكره في «الكتاب الأبيض للقمع» الذي ألفه دينيس وروبير بارا فإن القوات الفرنسية حشدت ما لديها من آلات للدمار وقامت بقنبلة المداشر وتقتيل كل من صادفه جنودها في الطريق ومن كتب له طول العمر ذاق من التعذيب ما لا يتحمله بشر.

## تقارير محايدة تفضح تزيف الصحافة الفرنسية

وحسب التقرير الذي أعده عدد من الشخصيات المحايدة التي أرادت إزالة اللبس الذي جاء على صفحات الجرائد الفرنسية فانتهسفي اليوم الموالي أي يوم الجمعة 11 ماي خرج سكان «ريفي» الذين لم يفروا من ديارهم طالبين الإذن باسترجاع موتاهم، لكن الجثث اختفت وأخذت ليلا أما

شدة الحزن وتأسى معها دموع فراق الأحباب والأهل إلا أن تنزل في صمت مهيب. قال في خضمها المجاهد رباعي علي المعروف باسم علي فراح أن الأحداث تعود إلى منتصف شهر رمضان لتلك السنة حين أقدم الشهيد علي خوجة على استقدام جنوده إلى منطقة القهاليز المتواجدة بمرتفعات مفتاح، وهو الأمر الذي أثار انتباه بن الحناز زالريكاتر الذي كان يوزع خبزه يوميا على مجموع الدواوير المنتشرة في المنطقة حين لاحظ أن كميات الخبز زادت على غير العادة وهو ما دفعه إلى نقل شكوكه إلى مسئوليه لمحاصرة المكان وهو الأمر الذي ساهم فيه حركيين.

وكانت المفاجأة غير السارة التي لم يكن ينتظرها الجيش الفرنسي الذي صدم بالعدد المعتبر من المجاهدين الذين دخلوا في مواجهة مع العدو مني فيها بخسائر معتبرة. وبعد التحريات تأكد أن أصحاب الوشاية هم الحناز والحركيين. وما كان على المجاهدين إلا ترصد «ولد الريكات البولوجي» الذي توجه كعادته إلى المستشفى والدواوير المجاورة لتوزيع خبزه عوضا عن أبيه أين وجه إليه قناص رشاشة الذي أرداه قتيلًا.

## عيد بألوان الدم وقرى تمحي تحت وقع القنابل

الخبر لم يصل والده إلا في المساء وكان آخر يوم من أيام رمضان المعظم بتاريخ 10 ماي 1956، لكن المعمر الذي كان يحمل كثيرا من الحقد للمسلمين في المنطقة على اعتباره كان من بين المؤسسين لتنظيم عنصري رفقة رئيس بلدية بوفاريك آنذاك لم يتردد في اخراج ساطورا من مخبزه ليتوجه إلى جاره الحلاق المدعو حمري بوعلام، لينهال عليه بكل ما أوتي من حقد ليكون بذلك أول ضحايا تلك المجزرة التي استعان فيها بعائلته والمعمرين الذين استوطنوا Rivet حيث لم يسلم كل من صادفهم في الطريق. حتى أن أصحاب هذه الشهادات يؤكدون أن طرقات وأزقة المدينة وأحيائها لم يبق منها شبر دون أن يروى بدماء الضحايا، خصوصا وأن المدينة في تلك الساعات الأخيرة من آخر يوم من رمضان كانت تعج بالصائمين الذين خرجوا لاقتناء حاجيات العيد وشراء شيء من الزلابية تسلي حد



## عود إلى المنبع

■ دكتور محمد قماري

«إذا ناهت بك طرق وجبهتك، فتذكر من أين أتيت»  
حكمة من الطوغو

ضوء تلك المعالم هو الضمان لسلامة المسير، شرط أن لا تشوه تلك المعالم أو يستأثر بها أفراد دون بقية الجماعة، إذ من شأن ذلك أن يؤدي إلى ضمور روح الانتماء لذلك الخط، وبالتالي البحث عن طرق بديلة، وعن خرائط افتراضية، وهي مغامرة لا يضمن معها وحدة القافلة، إذا تقاء لنا بعدم حدوث تضارب في وجهات خط السير..

### نوفمبر المعلم النبع

بعد أكثر من نصف قرن عن ذكرى نوفمبر، وتواري أغلب شهود ذلك الجيل عن مسرح الحياة، وهو الجيل الذي يمثل الذاكرة الحية، وحلقة الربط بين ما كان قبل نوفمبر وما جاء بعده، وخروج أجيال لا تعرف إلا واقعا، قبل لها أنه أفضل من مما كان، وأن ما أنجزه جيل نوفمبر كان معجزة، وكان حلما بعيدا، وأن قيما كبيرة دفعت ذلك الجيل إلى التضحية، وتقديم أعز ما يملك في سبيل تحقيق ذلك الحلم، باستعادة بناء دولة ذات سيادة، تحكمها مبادئ العدالة الاجتماعية، وتخلو من منطوق الاستعباد حيث يستأثر بعضهم بالسلطة والثروة، ويحرم البعض الآخر منها، أو ترشح وفق منطق التقطير والتقتير..

هل أنجزت المهمة كما تقول الكتب، ويردد في المناسبات، أم أن جيل اليوم ينظر بعين الريبة إلى هذا الكلام، إن لم يكن بعض منه قد ملّ فعلا ترديد كلمات لا يجد صداها في واقعه، وينظر حوله في دنيا العالم، فيتطلع إلى نماذج أخرى، فيحدث لديه الانقسام، بين النظرية والتطبيق، إن أحسنا الظن به، من أنه لم يقطع صلته النفسية بذلك التاريخ الذي قد يرى فيه عائقا أمام انطلاقته وتمكنه مما تهفو نفسه إليه، فتريد كلمة الماء على مسمع العطشان لا تروي ضمأه، ولا تعصمه من الهلاك عطشا..

إن بناء الأمم يقتضي حماية إرثها المشترك من العبث، واستئثار طبقة أو فئة أو جماعة به، والسهر على الإبقاء عليه حيا، لا العمل على تمجيده بنية تحنيطه، فالتاريخ يكتب مرات لكن الحقيقة فيه واحدة، وخداع الأحياء أو ترهيبهم لن يغير من وقائعه شيء، بل يزيد من تكثيف الضباب وحجب الرؤية، والبحث عن بدائل غير سليمة، ولا شيء يعدل الحقيقة، لأن القدرة على التصويب والمراجعة خلق الكبار الذي يغير التاريخ خطاياهم..

لقد جاء نوفمبر هدية من السماء، تحققت بفعل شعب بدمائه وأشلانه ودموعه ومعاناته، جاء ليحقق إعادة بناء الدولة، وفق المنظومة العقديّة والاجتماعية لهذه الأمة، وقيمه ما تزال إلى اليوم صالحة في تحريك جذوة الأمل، وتحريك سواعد العمل، والجيل الحاضر لديه القدرة على التفريق بين مقتضيات الدولة بمؤسساتها، ورهانات سلطة أو نظام حكم، فالعودة إلى المنبع يمكن أن تؤسس لتقاليد دولة تبنى على منطق المواطنة، تنبثق عنها سلطة تحرك جذوة الوطنية، وتنفض في جمرها قبل أن يغدو رمادا لا سمح الله، أو تعجز أفواه النافخين فيه بسبب تخونة طبقة الإجماع الذي انطفا..

تحل علينا ذكرى نوفمبر هذا العام، والقضاء الجيو سياسي للجزائر يمر تحت وقع أحداث زلزلت عروشنا، وأعاد رسم واقع، يبدو أنه من المبكر التكهن بأبعاد صورته النهائية، فالتسارع وقوة التغيرات وامتداداتها، وسرعة تداعياتها والأطراف الفاعلة فيها، جعلت الأفواه فاعرة مشدوهة، كأنها بصدد مشاهدة فيلم خيال أو حلم لم يجد من يحسن تأويله، واغلب الناس يرددون قولة الجن، كما جاءت في القرآن الكريم «وأننا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا» (سورة الجن..)

صحيح، أن الاتفاق حاصل بين قطاعات كبيرة من مجتمعات المنطقة، أن واقع تلك الأنظمة لم يعد قابلا للبقاء، وأنها استنفذت مبررات وجودها، وأن تغييرها أصبح ضرورة حياتية ووظيفية، وأنها هذا التغيير واقع لا محالة، سواء بإرادة شعوب المنطقة أو من خارجها، فهي أنظمة قد أصبحت في حكم الميت، إن لم يسارع أهله بدفنه تطوع غيرهم لذلك، لأن رائحة الموتى وتحلل مكونات أجسادهم تزعج القاصي والداني، لكن المذهل هو سرعة التداخي وأليات وقوعه..

### مراجعة مسيرة

هناك حقيقة تثبتتها المشاهدة ويقرها علم النفس، حقيقة ذات صلة بطبيعة هذا الكائن البشري، وهي أن الإنسان دائم التطوع إلى المستقبل، ولا ينظر إلى الماضي بمقدار ما يعزز موقعه في حاضره ومستقبله، وأبسط دليل على ذلك أنه يقدم ما يستطيع في سبيل إسعاد أبنائه لا في حاضره وحسب، بل يسعلا إلى تأمين غداهم، ولا ينشغل بذات القدر فيما يتصل بابويه وهما مصدر وجوده، وأصحاب الفضل عليه، ويتجاوز أيام الضيق والعسرة، وينسى معها ما قطعته على نفسه من عهود إذا سار إلى حال الرخاء واليسر..

وهي طبيعة غير معيبة في ذاتها، بل ضرورية لاستمرار عمارة الأرض، وحصول التقدم والنماء فيها، لكن المعيب هو أن يعتمد بعض البشر على طمس معالم ذاكرتهم، أو تشويهاها أو تجزئتها، أو القفز على بعض محطاتها، فالإنسان بلا ذاكرة مسخ، يعيش لحظته وحاضره، فلا مستقبل بدون حاضر، ولا حاضر بلا ماضي، وسلامة الذاكرة وأصالة معالم السير فيها، وحدها التي تتيح مراجعة الحاضر على ضوء آثار خطوات الماضي، وتسمح بتعديل السير وتقويم انحرافات، وتقييم إنجازاته، وهي قضية أساسية في حياة الأفراد كما في حياة الجماعات والأمم..

ولعل من أسوأ طرق القفز على الذاكرة هو تحنيط بعض أجزائها، بدعوى التمجيد، فيفقد ذلك الجزء وظيفته ضمن المسار العام للذاكرة، ويترك ارتباطه بما قبله وبما بعده، بل قد يكون عامل شد وتشويه لما قبله وما بعده، فالذاكرة طريق واحد وإن وقفت بعض المعالم المضيئة على جانبته، على أن لا تحجب بقية الطريق أو تعيق الرؤية فيه، فمهمة المعالم هي تيسير السير لا حجبها..

إن القدرة على مراجعة خط السير على

Les bleus se trouvent soudain en première ligne



جثة الشهيد «لولا» بعد قتله من طرف القوات الفرنسية يوم 11 ماي 1956.

الأزرق. ويواصل المتحدث في سرد تفاصيل المجزرة التي دمرت فيها الدشرة بأكملها ولم تتوقف قوات الاحتلال الفرنسي عند هذا الحد بل قاموا بإضرام النار في كومة كبيرة من «الزرجون» أي أغصان الكروم التي كان تدخر من طرف العائلات لفصل الشتاء حيث أحرقوا كل من صادفهم في ذلك اليوم بينما سيق البقية إلى «حوش ذويب» المعروف حاليا بمزرعة باحمد يوسف.

### فرانس قانون يعتبر الجريمة نموذجا حيا للدراسات النفسية

لواقعة مازالت ذكرها تولم إلى اليوم فهي واحدة من بين آلاف المجازر الأخرى التي قام بها الجيش الفرنسي منذ أن دنست أقدامه أرض الجزائر وتعد شاهد من شواهد الهمجية الاستعمارية حتى أن واقعة بقالم كان لها نصيب في الدراسات النفسية التي قام بها آنذاك المناضل الدكتور فرانس فانون، حين تناول بالتحليل نفسية طفلين قتل رفيقهما الفرنسي.

الأول يبلغ من العمر 13 سنة والثاني 14 سنة وخلال استجوابهما عن أسباب قتل صديقتهما الذي كان في نفس عمرهما رغم أنه كان الفرنسي الوحيد الذي يلعب معهم باعتبار أن أباه كان من الفئة المتوسطة الحال، إذ يذكر المحلل النفسي في كتابه «المعذبون في الأرض» أن إجابة الطفل البالغ من العمر 14 سنة كانت توحي أنه يفكر بمنطق الكبار رغم صغر سنة. إذ لا ينكر أنه قتل بل ذهب في معرض شرحه لأسباب إقدامه على هذا الفعل بطرح سؤال على الطبيب مفاده «ل رأيت في حياتك أوريا في السجن؟»، فأجابه فرانس فانون «حقا لم أر في حياتي أوريا في السجن»، فيضيف الطفل «ومع ذلك هناك جزائريون يقتلون كل يوم، أليس هذا صحيحا؟»، قال له «صحيح»، ثم واصل «إذن لماذا لا نجد في السجن إلا الجزائريين؟ هل تستطيع أن تفسر لي هذا الأمر؟»، ثم قال له الطبيب «لكن قل لي لماذا قتلت ذلك الصبي الذي كان رفيقا لك؟»، وكان رد الطفل كما يلي: «هل سمعت بقضية ريفي؟»، قال «نعم»، بعدها واصل الطفل «لقد قتل أثنان من أقاربي في ذلك اليوم وقيل يومئذ عندنا أن الفرنسيين حلفوا ليقتلونا جميعا. فهل اعتقل فرنسي واحد بسبب مقتل جميع هؤلاء الجزائريين؟»، قال الطبيب: «لا أعلم»، فأجابه الطفل: «فاعلم إذن أنه لم يعتقل أحد. وقد أردت أنا أن أصعد إلى الجبال لكنني صغير فقررت مع - (الطفل البالغ من العمر 13 سنة) أن من الواجب أن نقتل أوريا».

ويشير فرانس فانون في الجزء المتعلق بالحرب الاستعمارية وعلاقتها بالاضطرابات النفسية إلى أن المثال الذي تطرق إليه والذي له صلة مباشرة بمجازر «ريفى» يعبر بعمق عن الآثار النفسية الكبيرة التي خلفتها هذه الأفعال الإجرامية على مختلف فئات المجتمع. ومع ذلك مازالت فرنسا تصر على عدم الاعتراف بجرائمها ضد الإنسانية في الجزائر.

عناصر الميليشيات الذين احتلوا الشوارع فقد كانوا يلغون القبض على كل الذين يتأون بحثا عن معلومات حول أقاربهم وأهاليهم المفقودين. وتذكر الرواية أن كل الذكور الذين بقوا في «ريفى» تعرضوا للتفتيش والتحقق من هوياتهم في حين تم توجيه جزء كبير منهم إلى الملعب البلدي أين كانت تنفذ فيهم عمليات القتل وتم تحويل من بقي حيا في شاحنات إلى وجهات غير معلومة.

وتؤكد الشهادات التي تم الحصول عليها أن هؤلاء حولوا إلى مراكز التعذيب على غرار المركز المتواجد ب«ذويب». وفي هذه الأثناء وفي وقت كان من المفروض أن يكون يوم عيد للمسلمين ضرب الموت بقوة ليتحول الفرح إلى أحزان دامية وتشير التقارير هنا إلى أن بعض الأوربيين وأعضاء الميليشيات أوضحو للجيش الفرنسي أن العديد من السكان وبدون شك المذبون منهم فروا إلى المشاتي والدواوير المجاورة وهو ما دفع بالقوات الاستعمارية إلى تجنيد أزيد من 400 عسكري بأشروا قبيلة هذه المناطق اعتقادا منهم أن هناك أمر ما وراء خلوها من أهلها الذين التزموا في واقع الأمر بيوثهم خوفا على أنفسهم.

وكان التفكير الأوربي يحسب أن هناك كمائن نصبت لعساكرهم وشرع في استعمال المدفعية تجنبا للخسائر البشرية في صفوف الجيش. ومن أجل تبرير هذا الفعل تم اختلاق أسطورة الخبايا المحصنة أو «البلوخوصات» التي روجت لها الصحافة الفرنسية في حينها.

### قتلى في كل مكان بالنار ولهب «الزرجون»

ويروي في هذا الصدد المجاهد علي فراح أن المجزرة انتقلت ثاني وثالث أيام العيد إلى دشرة بن شعبان والسبب في ذلك أن المعمر «سيرا» رأى شاحنة منصورى بوعلام وحاول إيقافه لكنه رفض واتجه إلى دشرة بن شعبان وتبعه هذا المعمر الذي تشير الصحافة الفرنسية أنه كان من بين أعضاء أحد التنظيمات المدنية للمعمرين.

ويضيف عمي علي أن «سيرا» لما وصل إلى منطقة عين الجرب بدوار بن شعبان في وقت كانت فيه الساعة تشير إلى حوالي الثامنة صباحا رأى المجاهد رسولي محمد لولاش الذي لم يرد الاستجابة هو الآخر لنداء المعمر الذي طلب منه التوقف مخافة أن يكشف السلاح معه وفي لحظة إقدامه على دخول المنزل لإخفاء السلاح أطلق عليه «سيرا» النار ليقوم بعدها الجيش الفرنسي بمحاصرة المنطقة وإطلاق النار على كل من ظهر للمعيان ويذكر هنا محدثنا أنه من حسن حظ المجاهدين الذي كانوا متواجدين في منزل «رسولي» أن فروا نحو الغابة.

وأضاف مؤكدا أن من بين الضحايا الذين سقطوا في ذلك الصباح مسعودة زوجة منصورى التي أحرقت بعد قتلها وابنها منصورى قدور المدعو البركي إلى جانب الشيخ عمار وزوجة مساعد الطبيب التي كانت تخفي خلفها ابنها المبلود الذي كان متخفيا ب«الحايك» لكن عناصر الجيش الفرنسي تفتظنوا له لظهور سروراله

ملاحظة: هذه الصور النادرة تم الحصول عليها لدى السيد نور الدين عمروش واحد من المهتمين بتاريخ الجزائر ومنطقة مفتاح على وجه الخصوص. تمكّن بفضل جهوده الخاصة من شراء مجموعة ملابس بها من الصور من فرنسا حسب ما صرح به لـ «صوت الأحرار».



الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين السعيد عبادو لـ «صوت الأحرار»

# «قانون تجريم الاستعمار انصاف لتضحيات الشهداء وفرنسا لا تمك غير الاعتراف»

نتطلع أن تؤسس الإصلاحات السياسية للديمقراطية التشاركية في الجزائر ■ الجزائر بحاجة لتطبيق قوانين الجمهورية وليس لتشريع قوانين جديدة

جدّد السعيد عبادو الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين مطالبة بفرنسا بضرورة اعترافها بجرائمها المرتكبة بالجزائر لحفظ ما تبقى لها من سمعتها أمام محكمة التاريخ، مؤكداً أن قانون تجريم الاستعمار انصاف لتضحيات الشهداء ولا يملك أي مسؤول حق إغائه، لكنه أبقى تدميرها خاضعا لطبيعة الأولويات، معتبرا أن المصالح الاقتصادية لفرنسا بالجزائر أصبحت مهددة بسبب غموض مواقفها وخطابها المزدوج بالمقابل بروز العهد الذهبي لبعض الدول مثل الصين، وبخصوص الإصلاحات السياسية المرتقبة صنعها عبادو في خانة المؤسسة للديمقراطية التشاركية من أوسع أبوابها بالجزائر.

الماضي الثوري، فأقول أن الجزائر ليس لديها ما تخسره.

لكن الجزائر لم تعمل على تشكيل لوبي جزائري بفرنسا رغم قوة جاليتنا هناك؟

■ الجزائر تضغط بطرقها الخاصة وحسب ما تلزمه أولويات المرحلة، لكن إذا ما استشفينا العلاقات بين البلدين، نلاحظ بروز أصوات قوية داخل التراب الفرنسي من الفرنسيين والأجانب يطلبون بضرورة تصفية الذاكرة مع الجمهورية الجزائرية وضرورة الاعتراف بالجرائم المرتكبة طيلة 132 سنة، وهذا ما يعبر على أن الجزائر تعتمد إستراتيجية الصمت وفق مسار مضبوط للدفع نحو الاستجابة لمطالبها، بدل إتباع أسلوب البهجة الإعلامية. والأجانب يفسرون خروج العديد من الجزائريين وفعاليات المجتمع المدني بفرنسا في مسيرات يطالبون بضرورة الاعتراف بمجازر مظاهرات 17 أكتوبر، بل ونجحوا في إقامة معالم ونصب التذكارية، بالإضافة إلى تصريحات مسؤولين فرنسيين كبار يطالبون بإنصاف الجزائريين، وأصبح الاعتراف يعلب حتى كورقة انتخابية للظفر بأصوات الجالية الجزائرية وحتى المغاربية هناك، أفلا يعبر هذا عن وجود لوبي جزائري قوي، لكنه عمله يتم في صمت.

لهذا أقول أن مطلب الاعتراف والاعتذار والتعويض لم يصبح مطلباً جزائرياً فقط بل تبناه حتى الفرنسيين، واعتبر أن مسار الاعتراف بالجرائم الفرنسية يبدأ بالاعتراف بمجازر مظاهرات 17 أكتوبر.



أصحابها.

■ أجرى الحوار عبد الرحمان شماني

انتقد العديد من المؤرخين والسياسيين خطابات مطالبة فرنسا بالاعتذار والتعويض دون القيام بخطوات جدية لدفع مستعمر الأمس للإذعان، ألا يعبر هذا عن خطاب مزدوج ومتناقض؟

■ مطالبنا بالاعتذار والتعويض في حق الجرائم التي ارتكبت ضد الجزائريين ليس سابقة، بل سبق وأن اعترفت عدة دول على مر التاريخ، ونعتبره حق طبيعي شرعي لا يمكن لأي جزائري مهما كانت صفته أن يتخلى عن هذا باعتباره مبدأ غير قابل للمساومة، والهدف ليس فقط مادي، بقدر ما نهدف إلى إدانة الاستعمار الذي عمّر وحاول طمس الهوية الوطنية واضطهاد شعبه، وكذا في حق الشعوب والسلام في العالم.

ولن أذيع سرا إن قلت بأن الظروف التي تمر بها طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية أحيانا هي التي تحتم عدم اتخاذ قرار متسرع وترتيب الأولويات حسب المصلحة، بدل التهور في اتخاذ قرار عشوائي من دون دراسة نتائجه على المصالح الجزائرية.

## الدولة الجزائرية مطالبة بتفعيل مطالب اعتراف فرنسا بجرائمها

### وانصاف ضحايا التجارب النووية في المنابر الأهمية

كما قلت في تصريحات سابقة بأن الشراكة مع فرنسا متوقفة على تصفية الذاكرة، لكن الواقع الاقتصادي يؤكد استفادة فرنسا من صفقات كبيرة، ما هي قراءتكم لهذا؟

■ أردد للمرة المليون ونصف مليون بأنه لا يمكن بناء علاقات تعاون حقيقية بين الجزائر وفرنسا من دون تسوية الذاكرة التي تجمع بين البلدين، خاصة أن ماضي الفرنسيين فيها أسود وملطخ بالجرائم، لهذا كما أقولنا أي مسعى لتوقيع أي معاهدة صداقة بين البلدين بعد تكاتف مواقف الأسرة الثورية وكل المخلصين الوطنيين، سوف سنتصدى لأي محاولات للنماء بالعلاقات الاقتصادية إلى مستوى متقدم دون معالجة مشاكل الذاكرة، والشراكة الحقيقية لا يمكن بناؤها في ظل علاقات متذبذبة ومشحونة، كما أننا نرفض شراكة أو صداقة تنظر للمستقبل من خلال «العفس» على ذاكرة الشهداء وتضحياتهم.

ونطالب فرنسا اليوم قبل الغد بالكف عن اعتماد خطابا مزدوجا يتحين الفرصة دائما للاستفادة من إمتيازات السوق الجزائري، دون النظر بعمق وجدية لطبيعة العلاقات، لاسيما بين الأجيال الآتية التي لن يغفر التاريخ لها

بداية، تمر الذكرى الـ 49 لاندلاع الثورة التحريرية في ظلّ تعنت فرنسا على عدم الاعتراف بجرائمها طيلة 132 سنة، ما الذي تحقق للجزائر بعد قرابة نصف قرن من الاستقلال؟ محطة أول نوفمبر هي ذكرى لإستحضار البطولات والتضحيات التي قدمها الشهداء والمجاهدين في سبيل تحرير وطننا الجزائر، كما أن محطة نوفمبر هي لتقييم مدى التكفل بالأسرة الثورية باعتبارها احتلت الطليعة في الدفاع عن الوطن وتحريره من المستعمر الغاشم، لكن الحديث عن اعتراف فرنسا بجرائمها التي أدانها العام قبل الخاص وصنفت ثورتنا ضمن خانة الثورات العظيمة، يجعل فرنسا أمام محكمة التاريخ والتاريخ لا يرحم، لهذا اعتراف فرنسا بجرائمها بالجزائر سيحفظ لها ما تبقى من سمعتها أمام محكمة التاريخ. وإذا ما تحدثنا عن المكاسب التي تحققت بعد الاستقلال فهي لا تعد ولا تحصى ويكفيها فخرا أننا أصبحنا نحدد مستقبل أبنائنا بأيدينا، وبلغنا مستوى متقدم من القضاء على الأمية التي كانت ضمن أولويات فرنسا في محاولة تجهيلنا إبان الاستعمار، بالإضافة إلى أن الجزائر أصبحت تنعم بنعمة المنشآت والأقطاب الجامعية والهياكل الحيوية من طرق ومشاريع مهمة وغيرها، واختصارا أصبحت الجزائر قوة إقليمية لن تقبل أن يتعامل معها أقل من ذلك.

تبيين أخيرا أن التعويضات الفرنسية لضحايا التجارب الفرنسية في الجزائر مجرد ذر الرماد في العيون، ما الخطوات العملية التي يستلزم على الجزائر اتخاذها؟

■ مطلب تعويض ضحايا التجارب النووية الجزائريين سيبقى على رأس قائمة المطالب الموجهة للدولة الفرنسية، خاصة أن جرائمها لا زالت مستمرة لغاية اليوم في حق الإنسان والنبات والحيوان، أما اعتماد طريقة أحادية الجانب في محاولة لطي هذا الملف دون التنسيق مع الطرف الجزائري فهو تهرب من الواقع ومحاولة لإسكات بعض الضحايا ببعض فتات التعويضات، لكن رؤيتنا نحن بعيدة وشاملة ترتكز على إجراء مسح لمناطق التجارب في عملية مشتركة بين البلدين يتم من خلالها تنصيب لجان مختصة يسهر عليها خبراء حتى من الأمم المتحدة مهمتها التكفل بأدق التفاصيل بما يضمن استرداد حقوق ضحايا هذه التجارب المحرمة دوليا. ولهذا أقول أن الدولة الجزائرية مطالبة بتفعيل هذه المطالب لدى مستعمر الأمس واستعمال المنابر الأهمية كوسيلة ضغط لإخضاع فرنسا إلى احترام المواثيق الدولية وإرجاع الحقوق إلى

خطايا السقطات السياسية الفرنسية وعدم تحمل مسؤولها مسؤوليتهم عبر التاريخ.

ما هو تقييمك للعلاقات الجزائرية الفرنسية حاليا؟

■ يُخيل إلى المتتبع للوهلة الأولى أن مستوى العلاقات الجزائرية الفرنسية في أوجها، لكن سرعان ما يكتشفون أن الساسة الفرنسيين يتجاوبون مع المطالب الجزائرية بالتدرج وفق ما تفرضه المصلحة، لهذا فرنسا اليوم مجبرة على السير وفق توجه تسوية قضايا الذاكرة للمضي قدما بالعلاقات إلى مستوى التميز، وإذا تتبعنا مسار العلاقات بين البلدين نرى أن فرنسا فقدت الكثير من مصالحها في الجزائر تبعا لتعنت ساستها، وإلا كيف يمكن الحديث عن معاهدة صداقة في ظل غياب الإحترام لذاكرة الشهداء وتضحيات المجاهدين.

والحقيقة الأخرى أن فرنسا قاب قوسين أو أدنى من خسران مصالحها في الجزائر بسبب غموض مواقفها وتبني خطاب مزدوج لا يؤسس لعلاقات قوية، بخلاف ذلك نجد عدة دول أخرى

في العالم على غرار الصين، ظفرت بصفقات كبيرة، لأنها تتعامل مع الجزائر بمنطق الندية، وتعترف بأن الجزائر دولة محورية وقوية على الصعيد الإقليمي والدولي، ولها من الإمكانيات ما يؤهلها لتفرض منطقها في التعامل، ونحن نراه يخدم مصلحتها، أما النظر للمستقبل على حساب

## الجزائريون يبقى خائنا على مر التاريخ وليس بالضرورة ابن الحركي هو حركي

■ يُخيل إلى المتتبع للوهلة الأولى أن مستوى العلاقات الجزائرية الفرنسية في أوجها، لكن سرعان ما يكتشفون أن الساسة الفرنسيين يتجاوبون مع المطالب الجزائرية بالتدرج وفق ما تفرضه المصلحة، لهذا فرنسا اليوم مجبرة على السير وفق توجه تسوية قضايا الذاكرة للمضي قدما بالعلاقات إلى مستوى التميز، وإذا تتبعنا مسار العلاقات بين البلدين نرى أن فرنسا فقدت الكثير من مصالحها في الجزائر تبعا لتعنت ساستها، وإلا كيف يمكن الحديث عن معاهدة صداقة في ظل غياب الإحترام لذاكرة الشهداء وتضحيات المجاهدين.

والحقيقة الأخرى أن فرنسا قاب قوسين أو أدنى من خسران مصالحها في الجزائر بسبب غموض مواقفها وتبني خطاب مزدوج لا يؤسس لعلاقات قوية، بخلاف ذلك نجد عدة دول أخرى

## فرنسا ترفض تسليم الأرشيف الجزائري لأنه مدين لجرائمهم وفراعة لبعض ساستهم حاليا

ما هي نظرتك للحركي وأبنائهم بعد قرابة 50 سنة من الاستقلال؟

■ الخائن يبقى خائنا على مر التاريخ ولن يستطيع تنظيف ماضيه المندس بدماء الشهداء الطاهرة، أما أبناء الحركي فلسنا من دعاة الإقصاء والتهميش لهذه الفئة التي أثبتت أنها لا تنقص وطنية إذا ما تخلت عن مسار أباؤها وتحميد ماضيهم الخزي، لهذا الجزائر حررها الجميع وبنينها الجميع، كما أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وينتظر من هذه الفئة الانخراط في مسيرة البناء الوطني بقوة، لأن ثمن خيانة الوطن غالية وغالية جدا، وليس بالضرورة ابن الحركي حركي وغلك نماذج كثيرة في هذا الخصوص.

يعتبر المتتبعون أن التلاسن التركي الفرنسي مؤخرا حول الاعتراف بالجرائم في حق الأرمن لم تستثمر فيه الجزائر، ما هي طبيعة التخوفات الجزائرية؟

■ القضية الجزائرية كبيرة كبر ثورتنا، ولن نسمح بأن تصبح للإستغلال من طرف



صحية سيئة وإحتياجات اجتماعية كغيرهم من فئات المجتمع ككل، والدولة مطالبة بتحسين أوضاع كل فئات المجتمع وتذليل صعوبات مخلفات الاستعمار، ومن واجب الدولة أن تسن قوانين ومن واجب منظمات الأسرة الثورية أن تسهر على متابعة تطبيقها، فهو أمر ضروري وليس عيبا بل يدعم الحس الوطني في التكفل بكل فئات المجتمع خاصة منها فئة الأسرة الثورية التي كانت في طليعة تحرير البلاد.

وقانون المجاهد والشهيد يضمن حقوق المجاهدين والشهداء وذوئهم، رغم وجود بعض مواد عرفت تأخرا في التطبيق، وهناك نصوص تطبيقية هي في صدد التطبيق، ونعترف بأن حالة المجاهدين تحسنت كثيرا بفعل مجهودات الدولة إذا ما قورنت بالسنوات الفارطة، وهذا من صلب أولويات المنظمة الوطنية للمجاهدين الذي نتظر أن يتم الإهتمام أكثر بالأسرة الثورية في إطار الإصلاحات السياسية.

على ذكر الإصلاحات السياسية، هل ترى أن مشاريع القوانين التي يناقشها البرلمان حاليا، استجابت لمقترحات منظمة المجاهدين؟

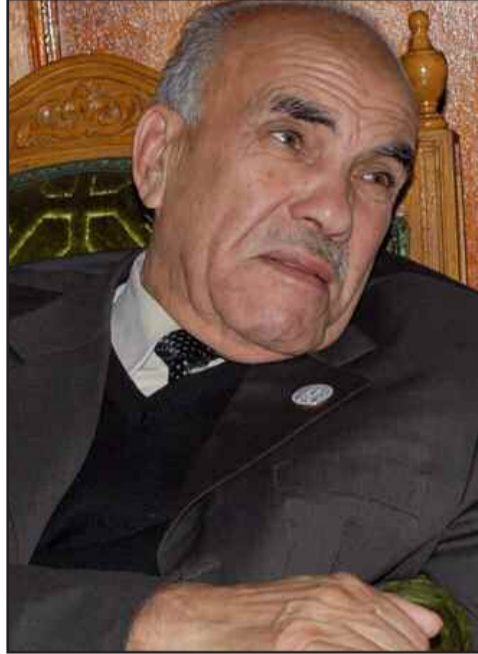
لن أذيع سرا إن قلت أن أغلب مقترحاتنا حول الإصلاحات السياسية تم أخذها بعين الاعتبار ونراها ترسم في مشاريع القوانين العضوية، ومقترحاتنا قدمناها استنباطا من التجربة التي عشناها، ومن خلال تتبع مناقشة القوانين في قبة المجلس الشعبي الوطني نرى تحمس كل القوى لمباشرة الإصلاحات، لكن أقول بأن أهم مرحلة هي مرحلة تجسيد القوانين، والجزائر مشكلتها ليس مع تشريع القوانين بل مع تطبيق قوانين الجمهورية تطبيقا سليما وفق ما حملته أرضية الإصلاحات السياسية. لهذا نحن نتطلع أن تؤسس الإصلاحات للديمقراطية التشاركية من أوسع أبوابها وفق توجه سليم، ونحن متفائلين بالنسبة لهذه الإصلاحات ومشاريع القوانين، بما يسمح من أن تحتل الجزائر مكانة مهمة في العالم الذي أصبح مملوءا بالتناقضات.

حدث جدل كبير حول نسبة تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة، هل أنتم مع هذا التوجه؟

نحن مع تمثيل المرأة دون حصرها بنسبة معينة، لأن حظوظها أصبحت قائمة بفعل مستوى الكفاءة الذي وصلته وتبوات المناصب والمسؤوليات، وبرهنت على وجودها في كل القطاعات والتخصصات، وهي بمثابة أحد الجناحين في رسم مسيرة التنمية، في جو ديمقراطي وفي إطار المحافظة على تقاليد الجزائر الثقافية والإسلامية والقيم الوطنية، دون الخوض في الأرقام والنسب.

تجددت مؤخرا تصريحات تدعو إلى إدخال جبهة التحرير الوطني إلى المنتحف، ما هي نظرتكم لذلك؟

الشعب هو الوحيد القادر على اتخاذ قرار التصرف في مسيرة حزب عن طريق الصندوق، لأن ما يهمننا هو محتوى برامج الأحزاب وكيف تعبر وتدافع عن المصالح الوطنية، أما قضية التسميات فالقانون واضح ولن ندخل في أية متاهات، ولا نرى مانعا في اختيار كل حزب تسمية مناسبة له سواء كانت الجبهة أو غيرها، لأن مشاكلنا ليست في التسميات وإنما في برامج الأحزاب وأنشطتهم وأن يحتل هدف خدمة المجتمع صدارة الأولويات، فالأحزاب تلعب دورا مهما في نهضة المجتمع وتطوره، كما قد تكون سببا في تدهوره، ونرفض اختصار الخطابات السياسية في متاهات وشكليات.



إنصاف لتضحيات الشهداء والمجاهدين».

حددتم عقد مؤتمر المنظمة في شهر مارس 2012، ما هي المحاور الكبرى لهذا اللقاء الذي يتزامن وتطبيق الإصلاحات؟

المؤتمر الـ 11 للمنظمة الوطنية للمجاهدين المقرر عقده شهر مارس 2012 سيكون محطة مفصلية ليس بالنسبة للمجاهدين فقط بل للجزائر ككل في ظل تزامننا مع الإصلاحات السياسية، ويتضمن ضمن جدول أعماله تقييم مسار المنظمة وبحث كيفية حضورها بقوة أكثر في الساحة الوطنية، وتسطير برنامج للمرحلة المقبلة ينتظر أن يعطى نفسا قويا لها، بالإضافة إلى تقييم مسار كتابة تاريخ الثورة التحريرية وتشخيص

النقائص التي تشكل العائق أمام تحقيق نتائج متقدمة، بالإضافة إلى دراسة تحسين تبليغ رسالة أول نوفمبر للأجيال الصاعدة باعتبارهم خزان المستقبل، ووضع التاريخ في مساره اللائق.

كما لا يخفى عليكم ضرورة دراسة سبل الرقي بمستوى التكفل بفئة المجاهدين خاصة الصحية وتبع وضعهم، بالإضافة إلى عدة ملفات أخرى مهمة سنكشفها في حينها.

صرحتم مؤخرا بإطلاق منظمة المجاهدين لقناتين تلفزيونية وإذاعية، إلى أي مدى وصل هذا المشروع؟

من بين ما تضمنته مقترحاتنا للجنة المشاورات التي نصبها رئيس الجمهورية بخصوص الإصلاحات السياسية ضرورة فتح السمعى البصري، والعمل على إطلاق قناتين تلفزيونية وإذاعية متخصصة في التاريخ، من أجل إعطاء الذاكرة اهتماما أكثر، لاسيما أنه برز لنا عدم وجود اهتمام بالمستوى المطلوب، وقبل هذا كنا قد راسلنا وزارة الاتصال للتكفل بهذا المشروع الهام في تاريخ الجزائر لكن لم نلق التجاوب لغاية اليوم، فنتمنى أن لا نكون مضطرين للبحث عن مساهمين لإطلاق مشروع القنوات التاريخية في ظل عدم وجود موارد مالية خاصة بالمنظمة.

لكن هناك من يصنف منظمات الأسرة الثورية كحركات مطلبية أكثر من اهتمامها بالتاريخ والذاكرة؟

شئني طبعي أن منظمات الأسرة الثورية من مجاهدين وأبناءهم وأبناء الشهداء تتكفل بالقضايا الاجتماعية وتبحث وضعها، لاسيما أنه توجد مخلفات وإرثا ثقيل تركهما المستعمر الفرنسي من أراميل ومعطوبين وأيتام، وأوضاع

جهات معينة، وتبقى قضيتنا قضية وطنية خالصة، ندفع من خلال مجهودنا لدفع مستعمر الأمس نحو الاعتراف، ورسالتنا واضحة للدولة التركية، بأننا نرفض استعمال قضية الاعتراف الجزائرية في تبرير أنفسهم من جرائم محتملة، كما نرفض أيضا استعمال الفرنسيين للقضية في مساومة الدول الأخرى. لهذا الاعتراف هو قضيتنا وليس مجرد مطية، كما أننا ضد كل الإستعمار الذي نهب الأوطان ومسح هوية الشعوب، ويمجد ماضيه الخزي اليوم بإقامة النصب التذكارية والمعالم، ولن نتراجع قيد أنملة في دعم الشعوب المستضعفة والطامحة إلى تقرير مصيرها على غرار الشعبين الفلسطيني والصحراوي.

التزمت بريطانيا بتسليم أرشيف الجزائر خاصة ما تعلق بأحداث 8 ماي 1945، بالمقابل رفض فرنسي، ألا ترى بأن الأرشيف سيضرنا أكثر مما سينفعنا ويعمق مشاكلنا التاريخية؟

الموقف البريطاني متطور ومُشرف جدا ومنتظر أن يكون درسا للفرنسيين لإتباع نفس التوجه، خاصة إذا علمنا أن القوانين الدولية تفرض تسليم أرشيف الدول، أما إتباع أسلوب التعنت والإصرار على «عفس» كل اللوائح الأمية، فأقول أن فرنسا متخلفة دوليا إذا ما تم مقارنتها بالدول الأخرى التي أرادت التخلي عن إرثها الإستعماري، كما أن العقيلة الفرنسية الإستعمارية المغرورة في أذهان ساستها يجعلنا أمام مسلمات

استحالة تخلي فرنسا عن طابعها الإستعماري ولو بمفهومه الحديث. ولسنا حاقدين على الشعب الفرنسي ونشدد السلام وفق المبادئ التي رسمها بيان أول نوفمبر، لكن ضروري جدا أن يعرفوا جرائم آباءهم وأجدادهم المرتكبة في حق الجزائريين، أما الترويج لأطروحة أن

تسليم فرنسا الأرشيف الجزائري سيكون عنصرا مفككا ومعمقا لمشاكلنا، فهي لا تختلف عن أطروحات مستعمر الأمس الذي دأبنا على فك طلاسم حيله، فهل يعقل أن تخاف الضحية من الجلاد، كما أن فرنسا لو وجدت ذلك يخدم مصلحتها ما ترددت في تسليمه بسرعة، لأننا بكل بساطة لا نتنظر خيرا من مستعمر الأمس.

وفرنسا تعمدت عدم تسليمنا أرشيف الجزائر من أجل كبح كتابة تاريخنا السخي بالبطولات، ولا طالما وجد المؤرخون أنفسهم أمام فراغ كبير بسبب غياب مرحلة هامة في تاريخ الجزائر تحوزها فرنسا، لهذا تسلّم الأرشيف هو مبعث إداة للفرنسيين وفزاعة لهم، خاصة بالنسبة لبعض ساستها الذين يتقلدون مناصب مهمة حاليا.

لا طالما تعتبر الأسرة الثورية ذكرى إحياء أول نوفمبر محطة لتعميق جراح تجميد قانون تجريم الإستعمار، ألا ينبغي أن تكون ذكرى 50 سنة من الإستقلال فرصة مواتية لإحياء مشروع القانون وتقريره؟

مشروع قانون تجريم الإستعمار لم يبلغ بل جمد تبعا لأولويات فرضتها طبيعة المرحلة، وسيبقى على رأس أولويات الأسرة الثورية وفي صدارة إهتماماتها، ولن نرضى بغير تقريره عاجلا أم آجلا، بما يضمن مسح آثار قانون تجميد الإستعمار، وأعتقد أن المستقبل القريب سيعرف تهيئة الظروف لإعادة بعث المشروع من جديد وفق تنسيق مضبوط وإجماع وطني.

وأقول بأن رفض قانون تجريم الإستعمار في المجلس الشعبي الوطني ليس من صلاحية أي مسؤول مهما كان منصبه، لأن القضية قضية شعب ولا نقبل جعلها رهينة المرحلة وورقة للمساومات، وسيبقى نضالنا مستميت ومتواصل ومجهودنا دائم وليس رهين المناسباتية أو ذكرى معينة حتى فرض تقريره، وأقولها صراحة «قانون تجريم الإستعمار هو

## من واجب الدولة أن تسن قوانين ومن واجب منظمات الأسرة الثورية أن تسهر على متابعة تطبيقها

إن الحديث عن الثورة يعني الحديث عن التاريخ وضرورة تدوينه وكتابته (... ) إن جيبلا ينقضي يعني موت ذاكرة تظل الأجيال بحاجة إليها وتبقى الأمة الجزائرية تستلهم منها ما يعمق شعورها بهويتها وحضارتها وامتداداتها في تاريخ الانسانية، لهذا فإن حماية الذاكرة والتراث التاريخي المتنوع هي اليوم أكثر من ضرورة حيوية، بل إن التاريخ يجب أن يستعيد مكانته في كل المواقع من المدارس والجامعات إلى هيئات البحث والدراسة والتوثيق إلى مختلف مؤسسات الدولة، لأن التاريخ ليس مجرد سرد لوقائع أو خوص في ملاسنات وصراعات ذاتية أو معبرة عن مواقف شخصية، كل ذلك أمر طبيعي في حركة المجتمع وتفاعلاته الثقافية والسياسية والاجتماعية إنما هو تلك الروح التي تشعر الأمة بالوجود وبالعظمة وبالعرفان الدائم لأوثق الذين صنعوا التاريخ وأعادوه إلى مجراه وغيره وصلوه بإرادة لا تقهر. إذا كان لكل بلد تاريخ فإن الجزائر هي التاريخ ذاته، فهي من مهد الحضارات الإسلامية الأولى وبوابة حضارات أخرى ولعل هذا الرصيد التاريخي الكبير هو الذي يجعل بعض المتقولين يسعون لبعث مغالطات وأباطيل في تاريخنا وما تسعى إليه بعض الأوساط الحاكمة الميتة في التاريخ من تشويه لصورة الثورة الجزائرية وزرع بعض الأفكار المهزومة فيها ليؤكد أن تاريخنا يظل كبيرا كبر صانعيه وتضحيات شعبنا تبقى مدعاة للفخر والاعتزاز، لأنها كانت تستهدف قيمة نبيلة يستعصي النبل منها والحفاظ عنها في كل زمان ومكان وهي الحرية والسيدة والاستقلال.

من خطاب رئيس الجمهورية في احتفالية رابح بيطاط



# هذه شهادتي .. الطريق إلى نوفمبر

يذكر العديد من المؤرخين في كتاباتهم بأن الرخط الذي انتهجته اللجنة الثورية للوحدة والعمل أي تفجير الكفاح المسلح جاء نتيجة الانقسام الذي وقع داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فتبني المنهج المسلح تقرر غداة إنشاء المنظمة الخاصة في 1947، والعمل على تبني البديل الثالث أي تفجير الثورة كان العمل من أجله قبل إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل التي جاءت كحلقة في سياق استعدادات وإرهاصات سبقتها وقد أكرمني الله إن كنت من فاعليها إلى جانب بن بلة وبوضياف ومناضلون آخرون ومن باب الأمانة التاريخية ارتأيت أن أدلي بهاته الشهادة إنصافا للتاريخ والرجال الذين مهدوا بها

■ إيجد ناصر



المجاهدين الأبطال في منطقة البلدة وفاز بالشهادة سنة 1957 بعد القاء القبض عليه وإعدامه بسجن بربروس، ومنهم كذلك آخر يدعى مصطفى من البلدة يدعى Rabo Asiatique وثالث نسميه «محمد لبقع» وكان رئيس دائرة الحزب ورئيس فرع المنظمة الخاصة بالأغواط قبلها، والغريب أن هؤلاء الشبان الأبطال لما علم قادة الحزب بأمر مساعدتهم لنا في الهروب قام بإقصائهم نهائيا من صفوفه. بعد خروجنا حملنا هؤلاء المناضلين إلى ماوى في مرتفعات البلدة بعيدا عن عيون الاستعمار وحتى الشعب، وكان خبر هروبنا نزل كالصاعقة على رأس فلول القوات الفرنسية، التي كانت تعي جيدا الخطورة التي تشكلها عليها، فطوقت أطراف المدينة بالحواجز وقامت بحملات مدهامة ليلا ونهار للأماكن المشتبه بها خاصة منها بيوت المناضلين والوطنيين واستعملت حتى الكلاب لتقصي آثارنا، وبستر الله عجزت عن الوصول إلينا.

من مخبتنا حاولنا تجديد الاتصال بقيادة الحزب لمساعدتنا في التخفي وتمكننا من ربط الاتصال فأوفد لنا رئيس دائرة الحزب في المنطقة وطلبنا منه أن يحضر لنا وثائق مزورة لهويتنا ليتسنى لنا التنقل وتوفير مخبأ لنا لأن الحزب كان يمتلك عدة مخبأ في مناطق مختلفة من البلاد، ولما ذهب لم يعد إلينا إلا بعد مدة ولاحظت عليه بأن موقفه قد تغير واخبرنا بعدم إمكانية الحصول على الوثائق، ورفع لنا اقتراح الحزب علينا الانضمام إلى بعض المناضلين الذين يشتغلون عند الكولون، وبإمكان هؤلاء توفير الحماية لنا كأننا لسنا أصحاب قضية وقادة تنظيم، اعتبرت ذلك استهزاء وانتقاصا من شخصيتنا إن لم أقل من كرامتنا، فاتفقت مع بن بلة على أن يبقى في البلدة وأنا أنزل بدوري إلى العاصمة رغم ما في ذلك من مخاطر ومجازفة لأعالج المشكلة عن كتب مع إدارة الحزب المركزية.

## لقاء حسن داي مع قيادة الحزب

توجهت إلى حسن داي، وأقيمت عند المناضل سي إبراهيم وهو مناضل أصله من بسكرة وكان يشتغل في مستشفى بارني وزوجته تنتمي إلى عائلة تاقليت العريقة في النضال هي الأخرى والتي تقيد المساعدة لجميع من قصدها من أعضاء المنظمة الخاصة المطارد من القوة الاستعمارية. خلال إقامتي سعت إلى ترتيب لقاء مع مسؤولي الحزب، بهدف تمكيني من الاختباء ومنحي وثائق هوية مزورة فأرسلت لهم من يبلغهم بذلك وهو المناضل ابن أخ أحمد بودة واسمه عبد القادر بودة (هذا الشاب الذي فيما بعد كان من أوائل من التحق بالثورة والتقيته حين كنت اشرف على قوافل التسليح إذ أصر علي أن أتولى الإشراف على قافلة السلاح الموجهة إلى الولاية الرابعة، فأوصل دفعة وفي المرة الثانية كتبت له الشهادة وحاولت مرة ثانية سنة 1957، فلم ألق جوابا منهم وحاولت مرة ثانية وثالثة فلم أجد صدى وأخر مرة أبلغتهم بأنهم إذا ما تمادوا في التجاهل لمطالبتنا سأضطر إلى النزول إليهم في مقر الحزب بساحة شارتير حينها استجابوا وأوفدوا لي أحمد بودة والحسين حول كان اللقاء فرصة لوضع النقاط على الحروف وتحول إلى مراعاة من أجل المسار الثوري والاختلالات التي حدثت داخل الحزب خاصة منه الواقع الذي آلت إليه المنظمة السرية.

عن النهج الثوري بعدها كان يجب علينا التفكير في كيفية الخروج لتجسيد هذا التوجه الجديد.

## قصة الهروب من السجن

أصبح خروجنا من السجن السبيل الوحيد لإنقاذ المسار الثوري المسلح، وبقي المنظمة الخاصة من الضربات المتلاحقة لتحطيمها وأدها، ففكرنا في الطريقة التي تمكننا من الخروج وما ساعدنا في ذلك الاتصال المتكرر بالمناضلين الذين يعتقلون أثناء المظاهرات إذ يقبعون مدة قليلة ثم يخرجون وقد وجدنا من بينهم من يساعد في عملية الهروب بعد أن قمنا بدراسة وضعية السجن والأسوار المحيطة به فضلا عن الإلمام بأدق تفاصيل نظام المراقبة والمناوبة الخاص بالحراس، وبعد أن اختصرت في ذهننا خطة الخروج، استغلنا فرصة الذهاب إلى طبيب الأسنان للعلاج وكنت قد ضربت موعدا مع أحد المناضلين وهو الصافي بوديسة إذ لما رأيته تظاهر بأنه يحتضني ومنحني قطعة من منشار صغير في سرية تامة، لتشاء الأقدار بأن تكون هذه القطعة التي لا تزن بضعة غرامات هي التي تحطم الأغلال وتدرك أسوار السجن ومن العتاد الذي كان يلزمنا حسب مخططنا الحصول على حبال طويلة، فما كان منا إلا أن قمنا بتقطيع البطانيات على شكل حبال وربطها ببعضها البعض وبعناية فائقة، وأخفائنا وسط الفراش، ولم يبق لنا إلا التحضير البديهي للعملية لكونها تتطلب جهدا عضليا كبيرا وثباتا ولذا كنا نستغل فرصة الخروج للفناء للقيام بتمارين رياضية وقد دامت عملية التحضير للهروب حوالي 3 أشهر.

اتفقنا على أن يكون هروبنا يوم 16 مارس على ما أظن هذا التاريخ يصادف تاريخ ميلاد مصالي الحاج فمن عادتنا أن نجني هذه الليلة في أجواء احتفالية تردد فيها الأناشيد الوطنية، ونقوم بعروض مسرحية، وكان عدد المساجين 56 فردا وكلهم على علم بعملية الهروب أما المعنويين بالهروب فهم أربعة أنا وبن بلة واثان تراجعا في آخر لحظة فضلا البقاء بالسجن وانتهاء عقوبة السجن فلما حانت الليلة الموعودة وتحت صحب الغناء انطلقنا في تقطيع قضبان النافذة بالمنشار الذي أدخلته وكان لزاما علينا تقطيع القضبان في وقت لا يتجاوز نصف ساعة أي قبل مجيء دورية الحراسة، ويسر الله لنا ذلك فخرجنا من النافذة بعد تقطيع قضبانها، توجهنا نحو السور الأول ومكنت بن بلة من تسلقه بالصعود على كتفي لأنه كان يحمل الحبال ثم لحقته، لكن لما تسلقنا الجدار الأول وجدناه محاطا بأسلاك كهربائية، من الصعب اجتيازها، خاصة بالنسبة لأحمد بن بلة لأن قامته طويلة وأي حركة أو خطأ ينسف الخطة، اجتزنا العقبة الأولى بسلام، ثم كان علينا تجاوز السور الثاني الذي يتجاوز علوه 6 أمتار، فمشينا إلى أن وصلنا إلى المكان الذي كان متفقا عليه من الإخوان المناضلون الذين ينتظروننا من الخارج، ورميت طرف الحبل الذي أعدته إلى خارج السور فأمسكوه هنا علمت بأنهم في الموعد تسلق بن بلة السور مستعينا بالحبل المشدود من الخارج ثم جاء دوري وكان صعبا على إذ نزلت لمرتين بعد أن اصعد إلى منتصف الحائط، وفي المرة الثالثة استجمعت كل قواي وتمكنت من الصعود بنجاح وخرجنا، حيث وجدت المناضلين الذين ساعدونا في الهروب وعلى رأسهم الشهيد مصطفى سيدي يخلف الذي كان يدعى آنذاك بمصطفى السطافي، وأصبح بعد اندلاع الثورة من

التابع للشرطة بفيلا محي الدين، بعدها البلدة. اختتم فكرة الحيات

في السجن وجدت نفسي مع مجموعة من قادة المنظمة الخاصة الذين تم اعتقالهم أتذكر منهم عمر آيت حمودة الذي كان يشرف على فرع المنظمة بمنطقة القبائل، محمد يوسف الذي كان يشرف على جناح المخابرات إلى جانب بلحمجوب بالمنظمة، وكان هذا الأخير نائباً لي بالمنظمة الرابعة، ومعناسي أحمد بوقارة الذي استشهد كقائد للولاية الرابعة فيما بعد ومحمد أعراب الذي كان يشرف على الهندسة المدنية للمنظمة المسلحة وأحمد بن بلة الذي كان آخر من ألقى عليه القبض، والذي كان يرأس المنظمة الخاصة ومعنا مناضلون آخرون نسيت أسماءهم من الحلفة والأغواط والبلدة. في البداية كان عدد المسجونين من التنظيم 200 موزعين على قاعتين لكن بعد التحقيقات الأمنية تم تسريح الأغلبية ولم يبقى إلا 56 مسؤوليات داخل المنظمة.

من السجن طلبنا من قيادة الحزب أن تعمل على تهريبنا وبلغناهم بذلك بواسطة عبد الرحمان كيوان وأحمد بودة اللذان كانا يترددان علينا في السجن فعاودنا الكرة عدة مرات ففي إحداها أرسلت أخي لهم وفي كل مرة يرفضون الطلب بل هددوا الموسولين بالظرد من الحزب إذا ما عاودوا نقل الطرح.

في هاته الأثناء كانت تصلنا أخبار بعض السياسيين من الحركة الذي ابدوا نوعا من التشفي في وضعيتنا بل فيهم من القادة الذي قال: «هذا عظم فلتنكسر أسنانهم فيه»، كما بلغنا التناغم بين جناح من الحزب وشوفاي أصبح يسير نحو تجسيد فكرة التعاضد بين الجزائريين والفرنسيين وأصبحت فكرة الثورة والاستقلال مغيبة في أديبات الحزب، صف إلى ذلك مشاركة الحزب في الانتخابات البلدية رغم أن مؤتمر 1947 قرر بأن تكون انتخابات 1948 والتي عرفت بانتخابات نايجلان ستكون آخر مشاركة.

في السجن كنا بمثابة خلية تفكير وكان شغلنا الشاغل مصير المسار الثوري وكيفية الانتقال نحو الكفاح المسلح والملمة شتات أعضاء المنظمة الخاصة الذي بلغ تعدادهم قرابة 2000 مدرين أحسن تدريب ومتلهفين للكفاح وحالهم الآن بين سجين ومطارد ومعصم بالجبال وكنا نعي بأن ما يخلج في صدور هؤلاء تنبض به دقات كل جزائري إذ أصبحت قناعة الكفاح المسلح عامة وتنتظر القتل فقط.

لكن في أي إطار سياسي وتحت أية مظلة، فقد انحرف الحزب الذي تربينا في أحضانه وأصبح قاداته يتبعون عن أمال وأهات الشعب ولم يكلفوا أنفسهم سوى بقرار حل المنظمة الخاصة فارتأينا بأن الحل يكمن في إيجاد إطار جديد يكمن من تفجير هذه الطاقات وينأى بها عن التجاذبات السياسية التي تجاوزها الزمن والأحداث والتي أصبحت تختلق الأعداء حين يتم الحديث عن الكفاح المسلح فتدعى بأن الشعب يجب أن يكون كله مكونا ولدينا عدا من الأسلحة والوضع العالمي وغيرها من الشروط التي يستحيل أن تتوفر. أصبحت لدينا فكرة ناضجة بعد تحليل دقيق للوضع وخيار طريق الحيات، والابتعاد عن التحلل الفكري السياسي لأن سياسة المطالب قد تجاوزها الزمن والعقلية السائدة لدى القيادات تثبط العزائم وتبتعد

● فمن المتعارف عليه بأن الحزب ومناضليه أطلت عليهم سنة 1949 بتداعيات ما عرف بالأزمة البربرية واكتشاف المنظمة الخاصة بين 1949 و1950 فبالنسبة لظهور تيار بربري داخل الحزب معارض للامتداد العربي الإسلامي للجزائر يعني تراجعاً عن أساسيات مبادئ الحركة الوطنية الجزائرية، فضلا عن كونه يسعى إلى تكريس الجهوية والطائفية مما يحدث شرخا داخل الحزب إذا اعتبرها البعض طعنه في الخلف.

وبالنسبة للمنظمة الخاصة التي اكتشفها الاستعمار الفرنسي في هذه المرحلة وبالتالي تحرك الآلة القمعية لمطاردة عناصر التنظيم وتنج عنها اهتزاز أركان الحركة عقب حادثة تبسة يوم 18 مارس 1950 واعتقال رحيم الذي أدى إلى انكشاف المنظمة والسقوط على بريد وهران يوم 16 أبريل 1949 وتحطيم مثال كاشرو بسعيدة. قبلها كان آيت أحمد على رأس المنظمة الخاصة بحكم ضلوعه في الحركة البربرية فإن وجوده على رأس هذا التنظيم جعل مناضلي المنظمة الخاصة يتخوفون من تداعيات هذه النزعة وأنا من بينهم حيث قررت الاتصال بالحسن الأحول الأمن العام آنذاك وقدمت له تقريرا طلبت بموجبه تنحيه آيت أحمد من مسؤولية المنظمة الخاصة، بهدف راب الصدع وطمأنة النفوس فوعدني الأحول بتنحيته بعد 3 أشهر وبطريقة هادئة كفي لا يفهم بأننا نتعامل بعنصرية وهو ما تم بالفعل إذ تمت إقالته وتعيين بن بلة مكانه، يضاف إلى كل ذلك تداعيات أحداث 8 ماي 1945 وتأثيرها على المناضلين بصفة عامة وخلاصة القول هذه الفترة أفرزت تيارات داخل القيادة السياسية للحزب منها جناح مؤيد للتوجيه نحو الكفاح وأغلبه من عناصر المنظمة الخاصة، وجهاز سياسي أصبح لا يساير تطلعات الجماهير التي اقتنعت بأن الثورة الخيار الثوري هو الحل.

## تنصل الحزب عن واجباته

وعلى سبيل المثال لا الحصر التمس ذلك غداة انكشاف المنظمة الخاصة وبداية الاعتقالات كنت حينها في الخدمة العسكرية بالشلف فما أن سمعت بأمر اكتشاف المنظمة وبعد إلاح مني على مسؤول الشكينة تمكنت من الحصول على ترخيص لمدة 24 ساعة توجهت بعدها مباشرة إلى مقر الحزب، حيث اتصلت بالحسن الأحول وعمراني السعيد وكلاهما عضو بالمكتب السياسي خلال هذا اللقاء عاتبتهما على عدم اتخاذ أية إجراءات لإنقاذ التنظيم العسكري الذي أنشأناه، وأضفت بأن تنظيمنا عسكريا يمثل هذا النمط يمكنه أن ينهار في أية لحظة وقوة هذاالآلة العسكرية تكمن فعاليته أي أثناء تشغيلها كما دعوتهم إلى التحرك من أجل حماية عناصر المنظمة الخاصة وتمكينهم من التخفي في الأماكن التي تحت تصرف الحزب وفي الآخر طلبت منهم إصدار تصريح يندد بالقمع بعد أخذ ورد لم تكن إجابتهم سوى أنهم يصدد انتظار التعليمات بل أكثر من ذلك حين عرضت وضعيتي كعضو قيادي وبأن الأجهزة الأمنية ستصل لي فطلبوا مني العودة إلى الشكينة وهونوا علي الأمر، رجعت خائبا وفي الطريق نحو الشكينة راودتني فكرة الهروب إلى وهران لكن تراجعت لأن الطاعة النضالية التي تمكنت من وجداني جعلتني أعدل عن الهروب والذهاب إلى الشكينة، ليتم اعتقاله بعد حوالي 10 أيام والزج بي في سجن في مركز البحث



فالمفودون يرون بأن المال الذي ألت إليه المنظمة الخاصة يرجع إلى أخطاء تكتيكية وتقنية وقعت فيها المنظمة الخاصة مما أدى إلى اكتشافها كما يفسرون قرارهم بحل المنظمة إلى حماية الثورب، وعدم توفر الشروط المادية والمعنوية لمواصلة التحضير الثوري متذرعين كالعادة بوجود توفر الوعي الوطني العام وتأهيل الشعب والظروف العالمية... الخ.

من جانبي كنت أرى بأن المسؤولية تعود إلى الحزب كجهاز سياسي فهو الذي أمر باستحداث هذا الجهاز الشبه عسكري ولما استقام واكتمل نموه عددا وعدة ولم يبق إلا إشغال القيتل الذي كان بيد الحزب، تم التحلي عن الآلة العسكرية الضخمة وتركها تدور في حلقة مفرغة رغم المخاطر وكان من الأجدى أن يتحمل الحزب مسؤولياته ويعلن الثورة أو على الأقل العمل على تجنب عناصر المنظمة الاعتقال وتسخير الإمكانيات المتاحة في هذا الشأن كتوفير الخايب والهويات المزورة، في هذا اللقاء تناولت كذلك الأخطاء الهيكلية التي أدت إلى تحطيم المنظمة السرية، ومن أبرزها الصفة المركزية التي تميزت بها هيكلية المنظمة وبالتالي رأيت من الأجدى أن يكون المنظمة مستقبلا تتميز بلا مركزية في التنظيم السياسي والاستراتيجي، وأن تكون لها ته المنظمة محطات في الخارج بالناسور وتونس والمخطة الكبرى تكون القاهرة، كما ذكرتهم بالقرار الذي اتخذ بالإجماع بأن يكون النضال السياسي بواسطة الانتخابات تكون سنة 1948 آخر محطة له ومنها تغيير أسلوب النضال، وهو الأمر الذي تم التراجع عنه كان هذا اللقاء مجرد فيض من غيظ لأن قناعتها بأن قيادة الحزب قد انحرف عن قراراته ومبادئه وأصر كل طرف منا على موقفه وفي الأخير تم الاتفاق بيننا على أن تقوم إدارة الحزب بتوفير مخابلي ووثائق هوية مزورة. وكان أملي من وراء ذلك أن أتولى إعادة هيكلية وتنشيط المنظمة ولمسة شتاتها وتفعيل التيار الثوري الجزائري، بقيت أنتظر قرابة 45 يوما عند هذه العائلة حينها أحسست بأنني أصبحت أشكل خطرا عليها، حيث لو علم الاستعمار بشأنها معي لخلت لعنة القمع بها.

### الاعتصام بمقر الحزب

كانت عائلتي حينها قد انتقلت من بودواو إلى بوزريعة سنة 1948 محاشيت في الأيام الأولى من هروبي إبعاد الأذى عنها ولم أذهب إليها إلا بعد 5 أشهر لأن قوات الاستعمار داهمت المنزل عدة مرات ولم تجدي وتيقنت بأنني غير مقيم في بوزريعة فذهب إلى بيت والوالدين ليلا وكان وجهي يكسوه الشعر، ومن هذا المقام الجديد جددت الاتصال بين بلة الذي كان في البلدة وكان الوسيط بيننا سيدي يخلف. في تناهي إلى علمت إدارة الحزب أمر هذه الاتصالات فما كان منها إلا أن غيرت مكان اختباء بن بلة دون إطلاع الوسيط بيننا سيدي يخلف والذي سعى جاهدا لمعرفة مكان تواجد بن بلة فلم يتيسر له ذلك. وبالتالي كان لزاما علي أن أجازف بالنزول إلى مقر الحزب ب Place de Chartre توجهت باكرا وما إن دقت الساعة الثامنة حتى كنت في بهو الحزب اندهش كل من رأي من المناضلين وانتابته الدهشة والرعب خاصة منهم مسؤولي الحزب الذين ما أن اجتمعت بهم حتى خيرتهم بين أمرين أما أن يعتبرونا مناضلين في صفوف الحزب ويمنحونا حقوقنا المتمثلة في الوثائق والخبا، أو يعلنوا صراحة بأننا لسنا كذلك وحينها يتحملون مسؤولياتهم واعتصمت بالمكتب لمدة 05 ساعات لم تجدي معها توسلات الأعضاء الحاضرون خاصة منهم حول حسين، بودة أحمد، بن يوسف بن خدة، وفي الأخير لم أراجع إلا ما وعدني لحول بشره بأنه سيمكنني من مطالبي بعد أسبوع وبعدها هددتهم إذا أخلقوا الوعد هذه المرة، فإن مجيئي المقبل سيكون بلمغة العنف لا غير وأردفت قائلا بأن معاملتكم لنا تعتبر خدعة فأنتم الذين جندتمونا ثم تخليتم عنا، بعد أسبوع جاءنا موفد الحزب باقتراح مغاير فحواد تهريينا إلى الخارج كان الغرض غريبا عنا ورأينا من خلاله بأن الحزب مصر على إبعادنا على الساحة النضالية بالجزائر وما يؤكد هذه النية ما علمناه فيما بعد إذ اتصل بعض من أعضاء المنظمة الخاصة الذين فروا قبل القبض عليهم واعتصموا بجبال القبائل وعلى رأسهم كرم بلقاسم، اتصلوا بقيادة الحزب وطلبوا إلحاقنا بهم وهو ما رفضته قيادة الحزب فلم نجد من خيار سوى قبول عرض الحزب، واقتنعنا بأنه بإمكان العمل على تفعيل الخط الثوري من قواعد خارجية، وقد كان ذلك كما ذكرت سابقا.

انشغالنا لأننا ارتأينا بعد النكسة التي ألت بالمنظمة الخاصة أن الضرورة تملينا وجوب توفر المنظمة الخاصة على قواعد خارج الحدود الجزائرية وكان من القواعد المقترحة لدينا منظمة الريف بليبيا والقاهرة لأننا كنا نرى فيها ومن خلال انتفاضة الضباط الأحرار والمبادئ التي رفعتها تناغما مع نضالنا وأهدافنا التحريرية.

ولهذا قبلنا عرض الهجرة إلى الخارج بشرط أن تكون وجهتي فرنسا أولا وأن يكون المشرف على تهريينا

فيلاي مبارك لا غير، لأن هذا الأخير محكوم عليه بالإعدام سنة 1945 وكانت لديه خلية مختصة في تنظيم التهريب إلى الخارج رفقة ابن أخ بودة لمسمى عبد القادر وكان ضمن الخلية مناضل آخر من بلكور يدعى الكابا.

### تهريبي إلى فرنسا

اتصل بي فيلاي مبارك وتم ترتيب عملية الهروب على ظهر إحدى البواخر التي امتطيناها ليلا ليم حشري في إحدى أقيبتها وبالتواطؤ مع بعض الريان الذين كانوا على متنها والذين كانوا يتقاضون عمولة مقابل ذلك وما إن وصلنا فرنسا حتى خرجت في جوف الليل، ورافقتي المناضلون الذين هربوني إلى حيث يقيم عبد الله عابد، لا أتذكر التاريخ جيدا لكن المؤكد أن الفصل كان الشتاء والبرد قارس.

لبثت قليلا واسترجعت عافيتي لأنطلق في مزاولة نشاطي النضالي فأقمت مع محمد بوضيف الذي كان مسؤولا على نظام الحزب وتشرف عليه بفرنسا وكان بوضيف يحكم مسؤولية يدافع على النظام ويهاجم مصالي فسعيت إلى كبحه وأستدرجه نحو البديل الثوري الثالث، في حين اقترح علي مسؤولو النظام أنذاك منصب نائب بوضيف على رأس فيدرالية فرنسا بهدف جري لخلاف مع بوضيف فاعتذرت بدعوى أن وضعيتي لا تسمح لي بالتنقل بين قسما فرنسا وهو ما يحول دون أداء مهامي، انصب جهدي في البداية على توحيد صفوف المناضلين والحيلولة دون وقوعهم في فخ الانشقاق الذي بدأ يطفو داخل الحزب، وفي المقابل سعينا إلى إقناعهم بالبديل الثالث الذي يهدف إلى راب الصدع وتجميع القوى الوطنية وراء مشروع التحرير والاستقلال فأنشأت لجنة تتولى الإشراف على هذه المهمة من بينهم علي باسط، محمد زروقي والمرحوم أمير (أمين عام للرئاسة بعد الاستقلال) الذي انضم إلينا بعد أن كان أتباع التيار الميصالي ومحمد مرزوقي، وقرص أصله من قسنطينة وكان عضوا بالمنظمة الخاصة، والعربي ماضي من سوق أهراس وأخر يدعى خنشول من ميلة كان هذا قبل أن ترسم القطيعة بين جناح الحزب في سنة 1953 وآخرون لا أتذكرهم.

في البداية كنا نستهدف الرموز السياسية وكبار المناضلين خاصة منهم المصاليين لكونهم كانوا هم الأكثر عددا في أوساط المناضلين بفرنسا واستطعنا أن نقتنع العديد منهم ومن أبرزهم راجف بلقاسم الذي كان مسؤولا قياديا في الحزب. في خضم هذا النشاط النضالي كنت أتحمس إخبار بن بلة لأتني كنت أرى بأن دوره رئيسيا في القاهرة ولدى وصولي إلى فرنسا لم ينقطع التشاور معه بواسطة البرقيات وهو في الجزائر، إلى أن جاء إلى فرنسا حيث التقيته صدفة وأصطحبته إلى حيث أقيم مع محمد بوضيف في أحد مقرات الحزب بفرنسا.

### اللقاء الثلاثي: محاسن - بوضيف - بن بلة

في مقر تابع للحزب بمنطقة مان روج حيث نقيم تولت لقاءاتنا أيام وليال، تم خلالها تشریح الوضع السياسي داخل الجزائر عامة والصراع القائم داخل الحزب خاصة، وقد كنا نجتمع في مواقفنا على تحميل المسؤولية للفريقين المتصارعين في الانحراف عن الخط الثوري والابتعاد عن طموحات الجماهير في التحرر وكنا نرى في الإطارات التي ربتنا على نكران الذات والتفرغ للقضية الوطنية قد أصبحت تتقاتل من أجل المسؤولية وبالتالي همشت نفسها وابتعدت عن المشروع العظيم. كما استعرضنا الظروف الدولية حيث كان يحز في أنفسنا أن ينطلق قطار التحرير بكل من المغرب وتونس وتتحضر الجماهير المصرية من قبضة الملك فاروق وبنقي متفرجين رغم ما كان لنا من إمكانيات كان بإمكاننا أن تؤهلنا لأن نقود قاطرة التحرر في العالم العربي وكنا نستحضر الشروط التي كان يرددها قياديونا في الحزب والواجب توفرها لقيام الثورة ومنها الأسلحة الكثيرة والعصرية وكتائب الضباط الواجب إعدادهم والظروف الخارجية وغيرها فوجدنا بأنها لا يمكن أن تجتمع إلى قيام الساعة، وجزمنا في تكرارها كل ما ذكرنا الثورة مجرد ذرائع لمن أصابهم الوهن والتخاذل وكان في تقديرنا هذه الظروف والإمكانيات تأتي بعد اندلاع الثورة وهو ما تم فعلا، اتفقتنا بأن إعلان الثورة هي السبيل الوحيد، ورأينا بأن ما هو متوفر لدينا على قلته بإمكانه أن يشعل الثورة، وحين تندلع فإن الجماهير ستبقى على جذوتها متقدة إلى يوم النصر لم يكن متوفرا لدينا من السلاح إلا الكمية القليلة التي اشتريناها حين كنا نسعى لتأسيس المنظمة الخاصة، وكان يتولى شراءها محمد عصامي من بسكرة هذا المناضل الفذ الذي كان مسؤولا عن بن مهدي وبن بولعيد في الشرق، وعرفته لما خلفت محمد بلوزداد على رأس ناحية قسنطينة، إذ سبق وأن حملت له الأموال لشراء السلاح، مثلما كان يفعل قبلي محمد

بلوزداد.

كما كانت لنا تحليلات دقيقة لهيكلية المنظمة الخاصة وأسباب انهيارها إذ ارتأينا بأن هيكلتها كانت مركزية أكثر من اللازم، مما جعلها تنهار من أول ضربة كما تداركنا الأخطاء التي وقعنا فيها ومن أبرزها عدم توفير مخايب احتياطية في حالة انكشافها يضاف إلى ذلك عدم إعداد قواعد خارجية للمنظمة وهي الاختلالات التي يجب مراعاتها مستقبلا.

في هذه الأثناء أي نهاية 1953 وبداية 1954 أصبح الانشقاق داخل الحزب يكتسي صفة رسمية ونظامية بين المصاليين والمركزيين وأصبح تبادل التهم بين الطرفين هو اللغة السائدة والأخطر أن الانشقاق بدأ يتسرب إلى القواعد النضالية فكل طرف يريد أن يحشد أكبر عدد من المناضلين لصفه وفشلت جميع المساعي لتوحيد الطرفين التي قادها إطارات من داخل الحزب ومن خارجه فأريت من الواجب السعي إلى عدم إقحام القاعدة في صراع القيادة التي تحركه النزوات الشخصية وحب الكرسي مما يلهي القاعدة عن المشروع الأساسي والطريق الأمثل للتحرير، أي التيار الثوري. ففي هذا الصخب أعددت بيانا سميت به بناء التعقل موجه إلى القاعدة العريضة من المناضلين بالدرجة الأولى وبعد أن عرضته كان الذي كانوا حولي قررت أن يمضيه المناضل راجف بلقاسم لأننا لم نكن معروفون في الجالية الموجودة بالمهجر في حين كان هذا الأخير عضوا قياديا في الحزب ومعروف في أوساط الجالية لكونه كان مسؤولا سابقا عن فيدرالية الحزب بفرنسا وأصبح يتبنى التيار الحياي، أهم ما جاء في البيان تحميد مسؤولية الأزمة داخل الحزب إلى الطرفين أي المصاليين والمركزيين ودعوة المناضلين إلى عدم الانصياع لأي كتلة من هؤلاء ودعوتهم إلى توحيد الصفوف في انتظار عمل إيجابي وهذا السعي كان يندرج في إطار العمل على إيجاد كتلة مستقلة أي تيار حياي.

### هيكلية التيار الحياي

ويهدف هيكلية هذه القوة وانطلاقا من العناصر الأساسية التي تضمنها البيان تم إيفاد محمد بوضيف إلى الجزائر بهدف تجسيد هذا الخيار بالاعتماد على العناصر المحايدة والتي لا ضلع لها في هذا الانقسام لتصبح قطبا موحدا للتيار الثوري وتصحيح المسار، وذلك بإنشاء هيكل نظامي وهو حر في التسمية التي من مهامها الأساسية الإعداد للانتقال الإعداد للكفاح المسلح وتوحيد القاعدة النضالية بالابتعاد عن أزمة المسؤولين خلق إطار لتجميع العناصر الثورية خاصة أعضاء المنظمة الخاصة الذين لم يتورطوا في الشقاق. جاءت فكرة إنشاء تنظيم جديد بعد اقتناعنا بأن الحزب قد تحطم كهيكل وبالتالي تخلينا عن قناعاتنا السابقة إذ كنا نعتقد بأن الثورة يجب أن يتبناها حزب قوي، لكن تحطيمه بقدر ما كان نقمة فقد كان نعمة لكون المناضلين وتحت وصاية الحزب كانوا تحت ما يشبه القمع الانضباطي الذي يحد من طموحاتهم وأمالهم وبالتالي فإن انهيار الحزب حرر المناضلين من هذا القهر وحرك روح المبادرة ومن صلب هذا التفكير الجديد جاءت فكرة اللجنة الثورية للوحدة والعمل.

وبالنسبة للجانب الفرنسي فقد كان يعتقد بأن التيار الثوري قد انتهى باعتقال المئات من المنظمة الخاصة ومطاردة الفارين يضاف إلى ذلك جنوح الحزب نحو الاعتدال وغياب النهج الثوري في أدبياته فضلا عن الشقاق الذي أصبح علينا من قادته هذه العوامل كانت مطمئنة للمستعمر.

في ظل هذا التصور الخاطي للمستعمر، وإيماناً بأن الأغلبية الساحقة من المناضلين والشعب كانت تنتظر الثورة لأنها ستمت من التحزب وأصبحت لديها نظرة الريبة والشك تجاه العمل السياسي المطليبي وعدم الاقتناع بجذواه، لذا قررنا الاعتماد على التكنم إلى أقصى حد لإحداث المفاجأة عند اندلاع الثورة كما ارتأينا بأن تكون القيادة في يد مجموعة قليلة وصلبة وثابتة ليكون بيدها عنصر المفاجأة وتكون في نهاية التحضيرات كآلة المفجرة. وهو ما تم فعلا بعد اندلاع الثورة إذ فوجئ المستعمر ولم يطلع على مفرجها إلا بعد مدة أي بعد أن اعتقال المصاليين والمركزيين والتحقيق معهم ليكتشف بان هؤلاء لا ضلع لهم في تفجير وإعداد الثورة.

عندما جاء بوضيف إلى الجزائر قام بتشكيل اللجنة الثورية مع بوضيف وبن بولعيد من التيار المحايد. وبإشراك دخلي ورمضان بوششوية، اللذان ينتميان للجنة المركزية، كان بوضيف ينوي بإدراج المركزيين في اللجنة للاستفادة من إمكانيات الحزب حسب تصوره، لما علمت بذلك أرسلت بوضيف وطلبت منه إقالة هذان الأخيرين لأن وجودهما إخلال بالخط الذي تبنيه وتشيويه له، بل يهدد السياسة الجديدة التي تنتهجها وكانت هذه المسألة بمثابة خلاف بيني وبين بوضيف نتيجة ذلك وقع بوضيف تحت تأثير هؤلاء فبدل أن تكون النشرة، التي تصدر باسم اللجنة الثورية للوحدة والعمل «الوطني» تبني خطأ حياي

أصبحت بمثابة بوق للمركزيين وتحمل مقالات تهاجم من خلالها التيار الميصالي وبالتالي أعطت الحجة لهؤلاء إذا اعتبروا اللجنة مجرد مناورة من المركزيين وأصبح لهذا التصرف تداعيات كادت أن تعصف بالاتجاه الجديد، حيث اعتدى المصاليون على بوضيف بالعاصمة وانسحاب جماعة قسنطينة واستمر الخلاف بيننا إلى أن اقتنع بوضيف بسلامة تصوري مما دعاه إلى حل اللجنة الثورية للوحدة والعمل في جوان 1954 وظهور لجنة الـ 22 المشكلة من العناصر المحايدة لتتولى الإعداد للثورة.

### ميلاد لجنة جبهة التحرير بفرنسا

أثناء تواجدي بفرنسا كان شغلي الشاغل استقطاب الإطارات نحو الاتجاه الجديد كما أسلفت وعشية اندلاع الثورة كانت لدينا نواة صلبة من الإطارات التي انضمت إلى هذا التيار منهم باسطا على الدكتور أمين، محمد زروقي، العربي ماضي، عبد الرحمان قراس، طربوش... الخ انطلقنا بعد اندلاع الثورة في حملة سمينها بـ «التوضيح» الهدف من وراءها التعريف بمفجري الثورة وغايتها وفي سبيل ذلك تكثفت لقاءات بالمناضلين كما كثفنا من البيانات والمناشر وكنا نستهدف مسؤولي قسما الحزب عبر نفس الهيكلية الحزبية التي كانت قائمة قبل نوفمبر أي في المناطق الأربع بفرنسا وكانت الانطلاقة صعبة للغاية بحكم تواجد التيار الميصالي بقوة في فرنسا في غياب المركزيين الذي كان تواجدهم ضئيلا.

كنت ألتقي من حين لآخر بفيلاي مبارك نائب مصالي الذي كنا نسميه «الخفيف» وحاولت إقناعه بالانضمام إلينا لسد الباب أمام الذي كانوا ضد الاستقلال والانهازيين من التيار الوطني الذين تراجعوا عن الخط الثوري استمرت محاولاتي معه لمدة 3 أشهر فحين نلتقي وتحدث بيدي اقتناعه بأرائي وحين يعود يسكنه التراجع وأخر مرة التقيته فيها قال لي: إتنا (أي المصاليين) نحن كذلك سننشأ جيشا مثل يوغسلافيا، فأجبت: ياسي خفيف هل تعرف مصير ميخايلوفيتش ستلقون نفس المصير مثله، إذ كان ضد تيتو وضد الألمان.

كانت معركة التوضيح جد صعبة وقد كنا نخوضها من نازيين الشرطة الفرنسية من جهة والجبهة الميصالية من جهة أخرى، لكن رغم ذلك استطعنا أن نشق طريقنا بخطى ثابتة ومتسارعة بحكم الديناميكية التي انتهجناها، حيث ركزنا على مسؤولي قسما الحزب واستطعت إقناع العديد منهم بالذهاب إلى الجزائر للتأكد بأن جيش وجبهة التحرير هم الذين فجروا الثورة وهم قادتها وليس المصاليون الذين أرادوا احتواءها وتبنيها، وقد أثبت هذا الأسلوب نجاعته، إذ ما إن يعود هؤلاء المسؤولين حتى يقدموا تقارير إلى مناضليهم حول الوضعية في الجزائر وفي ظرف قياسي أصبح النظام الجديد متواجدا في كل مناطق فرنسا.

بدأ المصاليون يستشعرون الخطر الذي أصبحنا نشكله عنهم وأحسوا بسحب البساط من تحتهم فحكوا علي بالإعدام وهذا ما بلغني به مصطفى ماروك وأصبح المصاليون يقومون باعتداءات جسدية على مناضلينا.

رغم ذلك أمرت المناضلين بعدم الوقوع في الفخ لأنني كنت على يقين بأن عدد المصاليين كثيرا ولو انزلنا إلى العنف ستكون الغلبة لهم، فضلا عن كون الصراع الدموي بيننا وبين المصاليين يخدم الطرف الفرنسي ويؤثر على مسار الثورة، لذا كنت في كل مرة أكيح جماع الغاضبين ومنهم على سبيل المثال أتذكر أحد المناضلين يدعى صالح كان مسؤولا في منطقة باريس الذي من شدة الغيظ أراد القيام بعملية فدائية ضد فيلاي مبارك ولما بلغني الخبر منعتة وحذرت من عواقب هذا التصرف.

وكان مسؤول دائرة في الحزب بفرنسا ونفس الأمر بالنسبة لطربوش الذي استخلفني حين خرجت من فرنسا، وللتاريخ فقد كان مناضلا من الطراز الأول وهو الذي كان يضمن الاتصال بيني وبين محمد بوضيف إذ كان متزوجا بسويسرية مما سهل له عملية التنقل من فرنسا وسويسرا، حيث يلتقي محمد بوضيف. هذا الأخير عرض علي تصفية مصالي وأبدى استعداده للقيام بالعملية، فحذرت إن عاود الأمر فهو الذي سيقتل وأضفت «إذا أردنا قتل مصالي فلنقتله سياسيا».

بمطلع سنة 1955 كان قطار الثورة يشق طريقه داخل الجزائر وفي قلب فرنسا وأصبحت جاليتنا في المهجر وإحدى قواعده الأساسية ومهيكلية في سائر المناطق والقسمات وفقا لهيكلية السابقة للحزب وبنفس المناضلين لأننا لم نصنع جيلا جديدا من المناضلين بل اعتمدنا على نفس المخزون الذين تربى وترعرع في فلك الحركة الوطنية.



## ثورة التحرير الوطنية

# متى يتم إحصاء قرن وثلاث من جرائم الكولونيالية؟

شرعت الهيئات المعنية والجمعيات المختصة منذ مدة في عقد ملتقيات عامة وحلقات دراسية متخصصة، تخرج عن روتين المناسبات المهرجانية، وتولي عناية كبيرة للتعريف والتعرف على تراث المقاومة الوطنية وثورة التحرير الكبرى، وهو من محاور الاهتمام في مركز الدراسات الذي تشرف عليه وزارة المجاهدين.



• د. محمد العربي ولد خليفة (جامعي)

● يهد هذا المجهود إذا تواصل داخل الجامعات ومراكز البحث بصورة منظمة، لدراسة شاملة لتاريخ بلادنا، باعتباره كلا متماسكا أشبه بحلقات يشد بعضها بعضا، واستعمال المناهج والأدوات العلمية الكفيلة بتدوين وقائعه وتصنيفها وتفسيرها بعين نقدية تمهد لما يعرف بالتاريخ العام وفلسفته التي تربطنا بحركة التحرير الوطني في العالم ونضالات الأمة العربية الإسلامية والإفريقية ومجالها الحضاري الواسع فقد كانت بلادنا رائدة في النضال السياسي والعسكري ضد الكولونيالية بأشكالها الاستيطانية وتحت عناوين الحماية والوصاية على كثير من شعوب العالم الثالث.

ينبغي أن نشجع ونرحب بكل توجه يستهدف إبراز عبقرية شعبنا، والتوصيف الدقيق لمعاناته وتضحياته طيلة ليل الاستعمار الأسود، والاهتمام بإشراك شهود العيان من القياديين والناس العاديين، جنباً إلى جنب مع العلماء والباحثين الشباب والكهول الذين ساهم الكثير منهم من مواقع مختلفة في حرب التحرير، وقد تحمل الكثير منهم مسؤوليات نضالية في مرحلة الكفاح المسلح وبعد الانتصار.

من المهم جدا الجمع بين التجربة النضالية لرجال ونساء عايشوا وأثروا أو تأثروا بالأم وأمال الحمل والمخاض الثوري في مرحلة استثنائية من تاريخنا، وبين باحثينا الشبان بوجه خاص، فالعديد منهم يبحث عن الحقيقة التاريخية بشغف كبير، ولا يتخلى في نفس الوقت عن ضرورات المنهج العلمي وما يتطلبه من تمحيص واستقراء ونقد وتنقيب.

في البحث التاريخي بالذات يلتقي الحس الوطني (patriotique) بالصرامة العلمية، فليس بين العلم والوطنية أي تعارض إلا عند ادعاء التعلّم (scientisme) والمشعوذين، فالتاريخ جزء من ذاتنا الجماعية وذاتنا المفكرة، هو عقلنا الباطن (Cogito ergo sum)، والأمة التي تكره أو تعاف تاريخها هي مجرد جغرافيا بلا محتوى ولا وجدان، لأن الوطن تاريخ أولا وجغرافيا ثانيا بهما معا يتحقق الانتماء المشترك وتتحدد الحقوق والواجبات، وتأخذ المواطنة أبعادها في ضمير الفرد والجماعة.

لا يمكن أن ننقذ تاريخنا من الدس والتشويه والتقطيع المفتعل إذا استهوتنا المهرجانية وتبادلنا التأسف والرتاء على تقاعسنا وتفريطنا في كنزنا المشترك، وهو ذاكرة الأمة وأمجادها الباقية، فكما أن الطبيعة تنفر من الفراغ، فإن الذاكرة الفارغة يمكن أن تصبح حقلا للتجارب

وطمس تضحيات شعبها، وإطفاء شعلة ثورتها والتشكيك في منجزاتها وتفزييم مكانتها على المستويين الإقليمي والدولي، واستدراجها للاندماج في المخططات الكونية (Planétaires) الجيو سياسية للتسلط والهيمنة، تحمل اليوم أسماء مزيفة ظاهرها الرحمة والتعاون وباطنها الاحتواء والتدجين. نحن على يقين بأن تلك المحاولات لن يكتب لها النجاح أبداً على الرغم من مظاهر الاضطراب والانكفاء المؤقت، فالجزائر هي واحدة من البلدان القليلة، التي تتوفر على ثوابت القوة المادية والمعنوية (Constantes de puissance) التي لا نظير لها في بلدان الجوار المغربي والقارة الإفريقية، إذا استثنينا جنوب إفريقيا (بريتوريا) التي تتوفر على الثروة والخبرة، ولكن تنقصها موارد الطاقة من الغاز والبترو، وهما شريان الصناعة إلى عقود أخرى قادمة.

تجتاز ثوابت القوة الجزائرية مرحلة كمون (Latence) لأسباب كثيرة لا تتسع لذكرها هذه المناسبة، وهي تتعرض بلا شك للحصار والتعطيل (Neutralisation) ولذلك يبدو لبعض محترفي البكاء والملاحظين السطحيين أو المغرضين أن الجزائر بلد هامشي لا وزن له ولا تأثير في الرهانات (Les enjeux) الجهوية والدولية القائمة على علاقات القوة (Rapports de force) لحماية المصالح واكتساب مناطق النفوذ، وليس على العواطف والذكريات.

لا نشاط المذهب الانهزامي (Défaitiste) في هذا الرأي، لأن الحقيقة غير ذلك، فللجزائر إمكانات دائمة (Potentiel) تجعلها قوة لا يستهان بها، إذا تم توظيف تلك الإمكانيات في منظور استراتيجي بعيد المدى، وتعبأ شعبها لتحقيق أهداف كبرى لم تخرج طيلة تاريخه الطويل عن الدفاع عن الحرية والعدل والتقدم والهيوية، بل إننا نذهب أبعد من ذلك، ونرى أن للجزائر مسؤوليات تتجاوز حدودها الجغرافية تتمثل في حماية مجالها الجيوسياسي الأفرو-عربي ونصرة المظلومين وتحقيق السلام والتضامن الحقيقي في المنطقة كلها، إن الانحياز للحق والحرية والسلام ليس تدخلا أو طلبا للهيمنة، فتجربتنا المريرة خلال الاحتلال الغاشم تجعل من شعبنا نصيرا طبيعيا لمن يستجير به، ولا يقبل أبداً ممارسة الظلم على غيره أيا كانت الذرائع والأسباب.

ينبغي أن نؤكد في هذه المقاربة الموجزة على قضيتين: أولاها: أثبتت التجربة التاريخية عندنا وعند غيرنا أن الروح المعنوية للأمة هي سلاحها الأقوى وحصنها الذي لا يقهر، وقد تمتع شعبنا في أحلك الظروف، وعندما وجد نفسه وحيدا وجها لوجه ضد أوروبا وإمبراطورياتها الصليبية الحاكمة، وحتى في لحظات اليأس القصوى، بروح معنوية عالية، هي مزيج من الإرادة والأمل، لنتأمل كلمات هذه الرسالة التي وجهتها هيئة قيادة المقاومة بعد أسر الأمير عبد القادر سنة 1847، وبينما كانت جيوش الاحتلال تندفع لتطبيق على الجزائر من الشرق والغرب والجنوب، تقول هذه الرسالة الموجهة إلى السفاح "لامورسيير" (Lamorcière): "ستزحف فرنسا إلى الأمام،

يفضلان الكرامة والحرية! فليس كل الماضي نكسات ونكبات من فعل شياطين أشرار وليس كل ما حدث بعد 1962 وحتى أثناء الثورة وراه ملائكة أطهار، فهناك اجتهادات ناجحة وأخرى أقل نجاحا إنها كلها من فعل الإنسان، وفي بلد ينهض من محرقة الاحتلال. تعمل هذه الادعاءات؟ عن وعي أو غير وعي على تبييض (Blanchissement) الوجه البشع وجرائم الهلوكست التي اقترقتها فرنسا الكولونيالية ضد شعبنا الأعزل إلا من سلاح الإيمان بقضيته العادلة، والمعزول عن العالم الخارجي في معتقل كبير هو وطنه الذي تحول إلى محتشدات ومراكز للتجميع وأخرى للقصف المباح والعقاب الجماعي للسكان الأبرياء يحيط بكل ذلك سيج من الحديد والنار هو المخطوط التي أقامها مجرموا الحرب من الساسة والضباط الفرنسيين، ومن بينهم السفاحان شال وموريس وبابون والقائمة طويلة.

ينبغي أن تبقى أجزاء من الأسلاك الشائكة، وتوضع لوحات تذكارية على حقول الأغمام المزروعة على طول حدودنا البرية لتكون علامة مادية وشاهدة على تقنيات الإبادة والقهر الذي تعرض له الآباء والأجداد تزورها الأجيال الصاعدة من التلاميذ والطلاب، والشباب بوجه عام وتكون معلما تاريخيا أشبه بمتحف في الهواء الطلق يطلع عليه الزائرون من مختلف الجنسيات، فقد شاهدنا في بلاد أخرى شواهد صغيرة مقارنة بما عانته الجزائر قبل الثورة وأثناءها، تحاط تلك الشواهد بهالة من الاهتمام والعناية وتوضع في برنامج زيارة الوفود الأجنبية.

محاولات التفكيك من الداخل تتزامن (وليس ذلك صدفة طبعاً) مع هجمات من الخارج بأسلحة جديدة للنظام الدولي الظالم، أسلحة غير مرئية، تستهدف زعزعة الجزائر،





● يهد هذا المجهود إذا تواصل داخل الجامعات ومراكز البحث بصورة منظمة، لدراسة شاملة لتاريخ بلادنا، باعتباره كلا متماسكا أشبه بحلقات يشد بعضها بعضا، واستعمال المناهج والأدوات العلمية الكفيلة بتدوين وقائمه وتصنيفها وتفسيرها بعين نقدية تمهد لما يعرف بالتاريخ العام وفلسفته التي تربطنا بحركة التحرير الوطني في العالم ونضالات الأمة العربية الإسلامية والإفريقية ومجالها الحضاري الواسع فقد كانت بلادنا رائدة في النضال السياسي والعسكري ضد الكولونيالية بأشكالها الاستيطانية وتحت عناوين الحماية والوصاية على كثير من شعوب العالم الثالث. ينبغي أن نشجع ونرحب بكل توجه يستهدف إبراز عبقرية شعبنا، والتوصيف الدقيق لمعاناته وتضحياته طيلة ليل الاستعمار الأسود، والاهتمام بإشراك شهود العيان من القياديين والناس العاديين، جنبا إلى جنب مع العلماء والباحثين الشباب والكهول الذين ساهم الكثير منهم من مواقع مختلفة في حرب التحرير، وقد تحمل الكثير منهم مسؤوليات نضالية في مرحلة الكفاح المسلح وبعد الانتصار. من المهم جدا الجمع بين التجربة النضالية لرجال ونساء عايشوا وأثروا أو تأثروا بالأم وأمال الحمل والخاض الثوري في مرحلة استثنائية من تاريخنا، وبين باحثنا الشبان بوجه خاص، فالعديد منهم يبحث عن الحقيقة التاريخية بشغف كبير، ولا يتخلى في نفس الوقت عن ضرورات المنهج العلمي وما يتطلبه من تمحيص واستقراء ونقد وتنقيب. في البحث التاريخي بالذات يلتقي الحس الوطني (patriotique) بالصرامة العلمية، فليس بين العلم والوطنية أي تعارض إلا عند أذعياء التعلّم (scientisme) والمشعوذين، فالتاريخ جزء من ذاتنا الجماعية وذاتنا المفكرة، هو عقلنا الباطن (Cogito ergo sum)، والأمة التي تكبره أو تعاف تاريخها هي مجرد جغرافيا بلا محتوى ولا وجدان، لأن الوطن تاريخ أولا وجغرافيا ثانيا بهما معا يتحقق الانتماء المشترك وتحدد الحقوق والواجبات، وتأخذ المواطنة أبعادها في ضمير الفرد والجماعة. لا يمكن أن نقتد تاريخنا من الدس والتشويه والتقطيع المفتعل إذا استهوتنا المهرجانية وتبادلنا التأسف والرثاء على تقاعسنا وتفريطنا في كنزنا المشترك، وهو ذاكرة الأمة وأمجادها الباقية، فكما أن الطبيعة تنفر من الفراغ، فإن الذاكرة الفارغة يمكن أن تصبح حقلًا للتجارب يزرع فيها من يشاء الأكاذيب والمغالطات، عندما لا يجد الكبار والصغار صورة واضحة عن ماضيهم القريب والبعيد، أو جاءتهم تلك الصور عن طريق التضخيم والتوهيل الخرافي، أو التزوير المعرض للوقائع بهدف تصغير ماضي الأمة وتشكيك المجتمع في حاضره ومستقبله. الإنقاذ العلمي- الوطني لتاريخنا مهمة عاجلة مطلوبة، أساسا من النخب السياسية والثقافية التي ترى طوفانا ما نسميه شبه التاريخ (Pseudo-Histoire) يعرض على شباننا ذاكرة مزيفة ومدغولة، يأتي أكثرها من وراء

البحر، تتحدث عما يسمى الإمارة البربرية (Réjence Barbaresque) وحرب الجزائر. نعتقد أن الجمع بين "شهود العيان" أي الفاعلين قبل فوات الأوان، والعلماء هو الطريق الصحيح لتحليل الوقائع وتصنيفها وتفسير حركيتها الداخلية ومقارنتها بغيرها في الزمان والمكان، والسياق المحلي والإقليمي تمهيدا لتنظيرها (théorisation)، أي وضعها في صورة بناءات نظرية حسب الاختصاص وفرضيات البحث بطريقة تنصف تاريخنا الوطني وتضع ثورتنا في مكانها المتميز باعتبارها تحولا استراتيجيا على مستوى المنطقة الأفرو-عربية، وعلى مستوى العالم أجمع. نصف هذه المبادرات بالشجاعة، نظرا لما تتعرض له بلادنا من اضطراب، ومحاولات التفكيك من الداخل مصحوب بموجة عارمة من التشاؤم، والإحساس بالانحدار (Decline) وترويح الكارثية (Catastrophisme) وشيوع النزعة العدمية (Nihiliste) التي تندعي أن جزائر ما بعد ثورة نوفمبر 1954 هي لا شيء أو أسوأ شيء، وكان بلادنا كانت قبل 1962 في خير ونعيم! وكان القهر والعبودية يتساويان، بل يفضلان الكرامة والحريّة! فليس كل الماضي نكسات ونكبات من فعل شياطين أشرار وليس كل ما حدث بعد 1962 وحتى أثناء الثورة وراءه ملانكة أطهار، فهناك اجتهادات ناجحة وأخرى ينهض من محرقة الاحتلال. تعمل هذه الادعاءات؟ عن وعي أو غير وعي على تبييض (Blanchissement) الوجه البشع وجرائم الهلوكست التي اقترفتها فرنسا الكولونيالية ضد شعبنا الأعزل إلا من سلاح الإيمان بقضيته العادلة، والمعزول عن العالم الخارجي في معتقل كبير هو وطنه الذي تحول إلى محتشدات ومراكز للتجميع وأخرى

للقصص المباح والعقاب الجماعي للسكان الأبرياء يحيط بكل ذلك سباج من الحديد والنار هو الخطوط التي أقامها مجرموا الحرب من السياسة والضباط الفرنسيين، ومن بينهم السفاحان شال وموريس وبابون والقائمة طويلة. ينبغي أن تبقى أجزاء من الأسلاك الشائكة، وتوضع لوحات تذكارية على حقول الألغام المزروعة على طول حدودنا البرية لتكون علامة مادية وشاهدة على تقنيات الإبادة والقهر الذي تعرض له الآباء والأجداد تزورها الأجيال الصاعدة من التلاميذ والطلاب، والشباب بوجه عام وتكون معلما تاريخيا أشبه بمتحف في الهواء الطلق يطلع عليه الزائرون من مختلف الجنسيات، فقد شاهدنا في بلاد أخرى شواهد صغيرة مقارنة بما عانتها الجزائر قبل الثورة وأثناءها، تحاط تلك الشواهد بهالة من الاهتمام والعناية وتوضع في برنامج زيارة الوفود الأجنبية. محاولات التفكيك من الداخل تتزامن (وليس ذلك صدفة طبعاً) مع هجمات من الخارج بأسلحة جديدة للنظام الدولي الظالم، أسلحة غير مرئية، تستهدف زعزعة الجزائر، وطمس تضحيات شعبها، وإطفاء شعلة ثورتها والتشكيك في منجزاتها وتزوير مكانتها على المستويين الإقليمي والدولي، واستدراجها للاندماج في المخططات الكونية (Planétaires) الجيو سياسية للتسلط والهيمنة، تحمل اليوم أسماء مزيفة ظاهرها الرحمة والتعاون وباطنها الاحتواء والتدجين. نحن على يقين بأن تلك المحاولات لن يكتب لها النجاح أبداً على الرغم من مظاهر الاضطراب والانكفاء المؤقت، فالجزائر هي واحدة من البلدان القليلة، التي تتوفر على ثوابت القوة المادية والمعنوية (Constantes de puissance) التي لا نظير لها في بلدان الجوار المغربي والقارة الإفريقية، إذا استثنينا جنوب إفريقيا (بريتوريا) التي تتوفر على الثروة والخبرة، ولكن تنقصها موارد الطاقة من الغاز والبترو، وهما شريان الصناعة إلى عقود أخرى قادمة. تجتاز ثوابت القوة الجزائرية مرحلة كمون (Latence) لأسباب كثيرة لا تتسع لذكرها هذه المناسبة، وهي تتعرض بلا شك للحصار والتعطيل (Neutralisation) ولذلك يبدو لبعض محترفي البكاء والملاحظين السطحيين أو المغرضين أن الجزائر بلد هامشي لا وزن له ولا تأثير في الرهانات (Les enjeux) الجهوية والدولية القائمة على علاقات القوة (Rapports de force) لحماية المصالح واكتساب مناطق النفوذ، وليس على العواطف والذكريات. لا نشاطر المذهب الانهزامي (Défaitiste) في هذا الرأي، لأن الحقيقة غير ذلك، فللجزائر

إمكانات دائمة (Potentiel) تجعلها قوة لا يستهان بها، إذا تم توظيف تلك الإمكانيات في منظور استراتيجي بعيد المدى، وتعباً شعبياً لتحقيق أهداف كبرى لم تخرج طيلة تاريخه الطويل عن الدفاع عن الحرية والعدل والتقدم والهوية، بل إننا نذهب أبعد من ذلك، ونرى أن للجزائر مسؤوليات تتجاوز حدودها الجغرافية تتمثل في حماية مجالها الجيوسياسي الأفرو-عربي ونصرة المظلومين وتحقيق السلام والتضامن الحقيقي في المنطقة كلها، إن الانحياز للحق والحرية والسلام ليس تدخلا أو طلبا للهيمنة، فتجربتنا المريرة خلال الاحتلال الغاشم تجعل من شعبنا نصيراً طبيعياً لمن يستجير به، ولا يقبل أبداً ممارسة الظلم على غيره أيا كانت الذرائع والأسباب. ينبغي أن نؤكد في هذه المقاربة الموجزة على قضيتين: أولاها: أثبتت التجربة التاريخية عندنا وعند غيرنا أن الروح المعنوية للأمة هي سلاحها الأقوى وحصنها الذي لا يقهر، وقد تمتع شعبنا في أحلك الظروف، وعندما وجد نفسه وحيدا وجها لوجه ضد أوروبا وامبراطورياتها الصليبية الحاكمة، وحتى في لحظات اليأس القصوى، بروح معنوية عالية، هي مزيج من الإرادة والأمل، لتتأمل كلمات هذه الرسالة التي وجهتها هيئة قيادة المقاومة بعد أسر الأمير عبد القادر سنة 1847. وبينما كانت جيوش الاحتلال تندفع لتطبيق على الجزائر من الشرق والغرب والجنوب، تقول هذه الرسالة الموجهة إلى السفاح "لامورسيير" (Lamorcière): "سترحف فرنسا إلى الأمام، ولكنها ستجبر على التقهقر، وسوف نعود، هل ترى الموجة التي يثيرها جناح عصفور يخلق؟ إنها الصورة التي يمثلها مروركم بإفريقيا!!" أما القضية الثانية: فهي تثير الدهشة والعجب، إذ لم نغم نحن الجزائريون أفرادا أو هيئات بجزر أولي أي مجرد إحصاء لجرائم فرنسا الكولونيالية في بلادنا، وذلك بعد مرور 181 عاما (1830-2011) على بداية الهلوكست الإجرامي لا نجد لذلك أي تفسير أو تبرير مقنع، هل هو الكبرياء الوطني الذي يجعل الجزائريين يكتفون بآلامهم ولا يجاهر بمأساهم وأحزانهم؟ لا نميل إلى هذا التفسير الذي أورده الأستاذ مصطفى الأشرف، إذ أن الأمر لا يتعلق بمزاج الأشخاص، وحتى إذا افترضنا ذلك فإن طبع شعبنا يؤكد عكس المقولة السابقة، فليس من سيرة شعبنا وأخلاقه أن يتستر أو يتقبل الظلم والقهر، والسكوت على المعتدين والرضا بما يلحقه من حيف وهوان. هل هي سياسات طوي الصفحة وعدم نبش الجروح والعمل على بناء علاقات عادية (Normalisation) بين دولتين؟ وهذا المسعى في رأينا تبرير غير مقنع، لأن الطرف الآخر (ونقصد على الخصوص نوستالجي الكولونيالية الفرنسية من اليمين واليسار





المجاهد محمد شريف ولد الحسين يستعرض العمليات البارزة ضد المستعمر

## "من المقاومة إلى العرب من أجل الاستقلال" .. إسهام في بناء ذاكرة الأمة

يواصل الضابط في صفوف جيش التحرير الوطني، محمد الشريف ولد الحسين، في استعراض العمليات البارزة للمقاومة التي خاضها الجزائريون ضد المستعمر من أجل الاستقلال، عبر مؤلفه الجديد الذي جاء تحت عنوان «من المقاومة إلى العرب من أجل الاستقلال» وفي حلة تمازجت فيها الشهادة عن سير الشهداء والشهيدات بألوم صور، يحاول من خلاله العضو القيادي في الولاية الرابعة التاريخية، إضافة معالم توضيحية حول أحداث تاريخية عاشتها الجزائر في المرحلة الممتدة بين 1830 إلى 5 جويلية، تاريخ استقلال الجزائر.

### سهيلة ب

● الكتاب الجديد الذي يوقعه المجاهد محمد الشريف ولد الحسين والصادر ضمن منشورات دار القصة، هو الثالث من سلسلة كتب خصصها المؤلف لتقديم شهادته وإسهامه في بناء ذاكرة الأمة، يحاول الكاتب من خلاله توسيع منظور بحثه المعلومات التاريخية لتطعيم معارف الجيل الجديد من أبناء الجزائر بأهم الأحداث التي عاشتها بلادهم إبان الفترة الاستعمارية.

يعود المؤلف من خلال كتابه «من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال» إلى أول اعتداء استعماري فرنسي في 14 جوان 1830، حيث يستعرض المؤلف مجمل عمليات المقاومة التي قادها الجزائريون، ويتحدث عن المقاومة التي خاضها الشعب الجزائري من 1830 إلى غاية 1954، وهي الأحداث التي تبقى غير معروفة بما يكفي حسب.

كما يواصل ولد الحسين العمل على البحث الذي أنجزه في كتاب «عناصر للذاكرة» معتمدا في مؤلفه الجديد على منهج كتابه، فأثراء بألوم للصور السيرالبيوغرافية، ليفسح المجال مرة أخرى كي يتجول القارئ في رواق لا يظال لم تكن الجزائر لتتزع استقلالها لولا تضحياتهم.

و اختار الكاتب بأن يكون الجزء الثالث من كتابه مخصصا لوقائع المعارك التي شارك فيها، ليقدم فرصة للقراء الشباب بصفة خاصة، ليكتشفوا بأن الثورة المسلحة التي لم تعرض في السينما والتلفزيون الجزائري بما يكفي، تم تجسيدها من طرف رجال ونساء أعطوا كل شيء لهذا الوطن.

ويهدف الكاتب من خلال مؤلفاته التي تعززت بها المكتبة الجزائرية منذ 2007 والمصنفة في خانة الكتب التاريخية التي تحمل شهادته الحية، تقرير رسالة نوفمبر إلى الأجيال الجديدة، كما ينقل ما عاشه خلال حرب التحرير في حضن وحدتين من وحدات النخبة بجيش التحرير الوطني بالولاية التاريخية الرابعة، وهو ما دونه في كتابه الأول الذي جاء تحت عنوان «في قلب المعركة»، الذي يسرد من خلاله أحداث واقعية دارت حول العمليات التي قادتها وحدتين من وحدات النخبة «كومندو سي الزبير وكتيبة الحمداية» بجيش التحرير الوطني بالولاية الرابعة من 1956 إلى 1956.

ويعد مؤلفه الثاني «عناصر للذاكرة، حتى لا أحد ينسى» الصادر عام 2009، ثمرة بحث المجاهد محمد الشريف ولد الحسين لتعريف بسير الشهداء والمجاهدين والمجاهدات، حيث جاء بطابع تعليمي محض، قصد نقل روح التضحية التي سمحت ببعث الدولة الوطنية إلى الأجيال الجديدة.

للتذكير، فإن المجاهد محمد شريف ولد الحسين من مواليد 1933 بحجوط، ضابط سابق بجيش التحرير الوطني، بعد مزاولته لدراسه الابتدائية



ببارنغو، تحصل على شهادة التعليم الابتدائي، ثم دخل الحياة العملية ليكون في عون والده الذي كان يشرف على تشغيل مقهى، ومع وعيه المبكر بظلم نظام الاحتلال، التحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956 بالولاية الرابعة، بصفة مسبل، ثم فدائي، ثم ادمج في كومندو سي الزبير» الناحية الثانية» غداة العملية الفدائية التي قام بها في 13 جانفي 1957 بمدينة مارنغو.

وكان أيضا واحدا من عناصر كتيبة الحمداية الباسلة «الناحية الثانية، المنطقة الثالثة» التي ألحقت بالعدو هزائم نكراء.

في عام 1958 جرح خلال معركة دوار السيوف «تازة تروالار»، فنقل إلى المغرب لتلقي العلاج. وبعد فترة نقاهة، تم إرساله إلى بوابست بالمغرب لإجراء تريض مهني عام 1960. ومن هناك، توجه إلى تونس، مقر الحكومة المؤقتة للثورة الجزائرية، في ماي 1961.

وفي سبتمبر من نفس السنة، أرسله الاتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن وفد من الجزائريين إلى جنيف، لحضور ملتقى نقابي نظمته الاتحادية الدولية للنقابات الحرة، بعدها، قام بتأسيس جمعية اللاجئيين الجزائريين بسويسرا.

ومع إعلان وقف إطلاق النار، عاد إلى الجزائر في الوقت الذي استشرى فيه الجنون القاتل لعناصر منظمة الجيش السري.

محمد الشريف ولد الحسين، معطوب حرب، إطار سام بالدولة، اليوم في التقاعد، يعمل على تسخير كل جهوده لعمله في مجال الصناعة، وكتابة الشهادات حول الثورة التحريرية لأول نوفمبر 1945. وتأتي مؤلفاته التي تعززت بها المكتبة الجزائرية مؤخرا، ضمن الأعمال التي تساهم في سرد وكتابة تاريخ حرب التحرير الوطنية. من خلال المعلومات القيمة التي يمكن للمهتمين بتاريخ الجزائر من طلبه وباحثين تصفحها في مؤلفات صاحب «في قلب المعركة» التي جاءت مذبذبة بصور ووثائق تقدم للقارئ عرضا شاملا مختلف الأحداث التي ميزت ثورتنا المجيدة ومتابعة كرونولوجيا مقاومة الشعب الجزائري من 1830 إلى 1962. وهي أيضا بمثابة شهادات في شكل سرد لأحداث واقعية حول العمليات التي قادتها وحدات جيش التحرير الوطني، وهي إسهام في سد فجوة واسعة في تاريخ الثورة التحريرية، حيث نجد في كل مرة الكاتب يروي بصدق حياة مجاهدين كانوا يرهقون الجيش الفرنسي باستمرار.

جذور أول نوفمبر محور ندوة تاريخية بيسكرة

## الثورة المجيدة ينبوع ترتوي منه الأجيال وينهل منه المؤرخون

الله محمد، قادة أحمد، مباركية الصادق، المجاهد أونيسي مسعود الذين قاموا بهجمات ضد أهداف فرنسية ليلة نوفمبر والذين أكدوا أن الجزائريين من حقهم الافتخار بثورتهم التي كانت مدراس للكثير من البلدان المستعمرة.

وعلى الهامش قال فوزي مصمودي مدير متحف المجاهدين في تصريح لـ«صوت الأحرار» إن ثورة نوفمبر ستظل عبوة للجميع وينبوعا ترتوي منه الأجيال وينهل منه المؤرخون ما يحتاجونه من معلومات حول بطولات المجاهدين والشهداء.

ثكنة عسكرية، محطة القطار، مركز بريدي وغيرها من النقاط العسكرية الفرنسية والتي نفذها المجاهدون بنجاح ضد المستعمر، حيث بلغ عددها 5 من مجموع 40 على المستوى الوطني.

أما المجاهد الطيب ملكمي فقد تحدث عن عنصر المفاجأة التي باغتت المستعمر الذي كان في عطلة نهاية الأسبوع التي تصادفت مع عيد بالنسبة للمسيحيين، معتبرا أن الفرنسيين لم يكونوا ينتظرون هذه الهجمات النوعية التي أربكت قادتهم وأخلطت أوراقتهم.

وقد شارك في الندوة كل من المجاهد عبيد

أول نوفمبر وبعض الباحثين والأساتذة والأسرة الثورية. وبالمناسبة أكد عبد الحفيظ خلاف في كلمة مقتضبة أن المجاهدين والشهداء قاموا بالدور المنوط بهم وقدموا النفس والنفس من أجل الاستقلال والدور الآن على شباب الاستقلال المطالبون برفع التحدي ورفع راية الجزائر عاليا، فاسحا المجال لمن صنعوا ملحمة نوفمبر وانطلاق شرارة الثورة. وكان أول المتدخلين المجاهد الشريف عبد السلام حيث قال إن ولاية بيسكرة كانت من المناطق الأولى على المستوى الوطني من حيث عدد الهجمات التي استهدفت

أكد مداني يجاوي الأمين الولائي لمنظمة المجاهدين بيسكرة أمس خلال ندوة تاريخية بعنوان «جذور أول نوفمبر» أن الجزائريين ستموا الوسائل السياسية في التعامل مع المستعمر الفرنسي ومراوغاته الكثيرة ومكره ما جعلهم يقررون اللجوء إلى الأسلوب الثوري وحمل السلاح ضد المستعمر وهزيمته.

### ن. العايد

● وأشار في هذه الندوة التي نظمتها متحف المجاهد للولاية السادسة التاريخية العقيد محمد شعباني بالتنسيق مع منظمة ومديرية المجاهدين بمناسبة الذكرى 57 لاندلاع الثورة التحريرية المظفرة، أن



# الثورة الجزائرية في الشعر التركي والأذري

أطلع القارئ الجزائري على قصائد الشعراء العرب في الثورة الجزائرية، فقد جمعت من سورية والعراق فقط عندما عملت بهما سفيرا في السبعينيات من القرن العشرين 454 قصيدة، قالها 171 شاعرا وشاعرة من هذين القطرين. وفي أثناء جمع هذا الشعر العربي وصلتني قصائد باللغات التركية، والكردية، والأذرية أي الأذربيجانية.



بـ بقلم الدكتور عثمان سعدي

عندما تنطق الإذاعات اسم الجزائر، ينفجر سلاح يُسمع نشيد جزائري ملعلا  
أسلحة اليوم لا تكتفي بخمس طلقات  
ففي كل بندقية مأوى لخمس وعشرين طلقة  
وبحركة أصبع، يذبل خمسة وعشرون قلبا  
(عودة ليثريون) أي للفياف الأجنبي  
جنود أعينهم متعلقة بباريس  
نظراتهم من خلال شعيرة السلاح ليس إلا  
القلوب التي لا ترحم تفنى وتباد  
طريق السلاح أقرب طريق إلى أفسى قلب  
ليس ثمة من يملأ السلاح المتفجر بالورد  
إنه يعبر عن إطلاقة الموت  
ترى كم من جزائري يموت في البراري والقفار؟!  
يتوسد الرمل.. أو فراشه رمل  
يخر البعض منهم صريعا على سجاده  
وسجاده رمل  
وكل هؤلاء مثواهم رمل..  
كلما استشهد جزائري في البعاد  
تصيبني رصاصة القلق والاضطراب  
\* \* \*

ذاك البعاد أرض في الجزائر.. وهنا أرضوم  
هنا القرن العشرون.. بقعة في هذا القرن  
الجزائر تعني السلام في الوطن.. والحرب في  
العالم  
عاصفة الموت تجتاح قرى الجزائر  
صوت الأذان يربط بين القطرين  
أنا ضابط ملازم في قرية بردها قارس  
نومي يحاكي يوم الإطلاقة في السلاح  
بينما أنا في هذه الحال.. هناك تلقم البنادق  
أولئك نسوا قلوبهم في باريس..  
ويريدون إفناء كل قلب هنا  
من أجل هذا ملئت البنادق بالرصاص  
طلقة واحدة تترق أحشاء ليلى  
يسقط قمر من كتلة ثلج، وتتهوى نجوم واحدة  
فواحدة  
يتحطم مصباح نفطي، يسري الضوء خلال  
الزجاج المحطم كالدّم القاتم  
أرضوم.. والجزائر.. صنون في الخفقان في  
قرية بأرضوم.. درجة الحرارة 35 تحت الصفر

● الثورة الجزائرية في الشعر التركي:  
في أثناء سنوات الثورة كانت الصحف  
التركية تكتب عنه، فمجلة (دوشو نه ن آدم)  
خصصت في الكثير من أعدادها مقالات  
وقصائد عن الثورة الجزائرية. وصدرت غلاف  
عدها 63 الصادر في 15 آذار - مارس 1962  
بعلم الجزائر وصورة لمجاهدين جزائريين، وفي  
نفس العدد نشرت قطعة شعرية عنوانها  
(عندما يقال... الجزائر) للكاتب والشاعر  
التركي الكبير (كوك خان أوليا أوغلو) الذي  
عبر بها عن شعور كل مسلم حائا أبناء أمته  
على مساعدة إخوانهم الجزائريين.  
أوليا أوغلو يقول: دخلت الجبال بيننا وحالت  
دون الوصول إليك (يروي بلسان ضابط ملازم  
أول تركي يؤدي خدمته العسكرية في قرية  
بـ"أرضوم" بتركيا يؤكد أن قلبه دوما مع  
إخوانه الجزائريين، ويشبه استشهاد إخوانه في  
الدين وسقوطهم صرعى برصاص فرنسي  
غادر، بنجوم وأقمار تنهوى من السماء. ويعبر  
عن قلقه فيعلن مشاركة إخوانه المكافحين  
والوقوف جنبا إلى جنب معهم في ساحات  
الوغي، ولكن يا للأسف، بينما كان بهم بركوب  
جواده تمنعه جبال أرضوم، وتحاول حوافر جواده  
خوض ماء البحر الأبيض ويقف في مكانه  
مرغما. وفي هذه الأثناء يشعر بالألم الذي  
يحدثه الرصاص الفرنسي الغاشم في صدور  
إخوانه الجزائريين، ويتذكر البحارة الأبطال أمثال  
بابا عروج وخير الدين ورؤساء طورغوت الذين  
دوخوا ليس فرنسا وحدها، بل كل البلاد  
الأوروبية، من أقصاها إلى أقصاها، في القرن  
السادس عشر، وهكذا يسرح الشاعر في  
قصيدته التي يتضمن كل بيت من أبياتها ألف  
قلق ومشاعر يدعو فيها أحفاد بابا عروج  
وطورغوت للتأثر لإخوانهم الجزائريين الأبطال  
الذين خروا صرعى في ميادين القتال... والآن  
نمر إلى عرض نماذج من القصائد:  
عندما يقال... الجزائر  
عندما تنطق الإذاعات اسم الجزائر،  
ينفجر سلاح فجأة في درجة 35 تحت الصفر  
تنطلق الرصاص..  
يسقط ليل في أرضوم ويمضي  
تتهوى النجوم واحدة إثر أخرى  
يسقط قمر من كتلة الثلج على سعف النخيل  
يتحطم مصباح نفطي،  
يسري الضوء خلال الزجاج المكسور المنتشر  
كالدّم

أكون هدفا لخصاص القلق والاضطراب  
الثورة الجزائرية في الشعر الأذربيجاني  
عندما نشرت إعلانات لجمع الشعر العراقي  
الذي غنى الثورة الجزائرية، أطلعت شاعرة  
أذربيجانية على إعلان، وأرسلت لي قصيدتها  
التالية، ساعدني كاتب عراقي يحسن الأذرية  
على ترجمتها.  
هي الشاعرة الأذربيجانية ميروايد ديلبازي  
من الأدبيات المشهورات في أذربيجان، ولدت  
سنة 1912 ودرست الأدب في الجامعات، ولها  
عدة دواوين ومؤلفات، وفي إحدى قصائدها  
قالت عن الجزائر  
على سواحل البحر الأبيض المتوسط  
تقف الجزائر الجميلة حزينة  
لقد طاف ذهني ذات مرة  
في ذلك البلد العربي - موطن الشمس \*  
وراء البحار وخلف الجبال  
في الوطن الحبيب للعرب الشجعان  
تتحكم منذ زمن بعيد عاصفة قوية  
هناك تهب الرياح اللافتحة كالنصار  
ولا تهدأ العاصفة، وقر السنون  
وتمر الأجيال عبر النار واللهيب  
ولا يسكن لحظة صوت الثورات  
إنها المستعمرات تريد الحرية  
وتحطم بلاد العرب قيودها  
وتحصى من التاريخ اللحظات السوداء

ينفضي ليل جزائري..  
يعقبه حشر دموي..  
ليس في الخارج سوى صوت سايس الخيل  
وصهيل الجواد  
في قبضتي عالم صغير.. في مسدسي سبعة  
نجوم  
لسبعة جبال مظلمة..  
إنها قطرات دم في السماء المغبرة وليست كرات  
ثلج  
يسير ضوء مضطرب نحو المجرة  
جوادي يسير بخفة نحو المجرة \*  
غدت الفرقة (ليثريون) اللطيف الأجنبي دون  
قلب  
لقد نسوا ناموسهم في باريس  
إنني ظلمت في الساحل، والبحر هائج  
عندما خاضت حوافر حصاني الماء  
بقيت حائرا، كطلقة محبوسة  
في الأناضول.. عند ملتقى اليابسة بالبحر  
الأبيض  
أين بارباروس؟ أين سفن الرئيس طورغوت،  
أين؟  
لم أذكرهم أبدا بحسرة ولوعة كما أذكرهم الآن  
عندما ينهمر مطر من الدم الهوينا  
عندما تنطق الإذاعات اسم الجزائر \* \* \*

تلك السفن كانت تعطر أرض الجزائر، كالجنان  
المعلقة  
أولئك القادة المغاوير،  
كانوا يحرقون سواحل فرنسا بفتح شُرْع  
إن أولئك البحارة الأبطال الآن بسواحل ليبيا  
يشاركون الآن كفاح الجزائر..  
عندما مست حوافر حصاني الماء  
حال البحر بيننا..  
إنني أتفجر بحسرات الحروب البعيدة  
تنفجر الطلقة التي تأخذ طريقها إلى السباطنة  
يتشقق غيم، يصاب قمر ويسقط  
يهب قليل من الثلج.. قليل من الرمل  
كلما يصاب جزائري ويسقط صريعا في البعاد

## ■ الخلاصة:

إن للثورة الجزائرية أدبيات في سائر بلدان الدنيا  
وبخاصة بالبلدان العربية والمسلمة، لكن  
المؤسسات الثقافية مقصرة في جمعها. القرن  
العشرون عرف أعظم ثورتين: ثورة الجزائر  
وثورة الفيتنام. الفيتناميون جمعوا كل ما قيل  
في ثورتهم، كان في كل سفارة ملحق مهمته  
جمع ما قيل بأي لغة في ثورة الفيتنام، كونوا  
مئات المجلدات تخليدا لأدب ثورتهم، لكن  
الجزائريين لم يفعلوا مثل الفيتناميين. وهكذا يمر  
نصف قرن على استقلال الجزائر والتراث  
الأدبي للثورة يأكله النسيان.

## المجاهد الطاهر لعجال يتهمك من دعاة إحالة الأفلان إلى المتحف ويقول:

### "جبهة التحرير عنوان الجزائر وهي من أسقط الجمهورية الرابعة الفرنسية"

المجاهدون إبان الثورة التحريرية.  
وانتقد المجاهد الطاهر لعجال بشدة الأحزاب  
التي تنادي بإحالة الأفلان على التقاعد،  
معتبراً أنهم نائمون وعليهم الاستفاقة من  
سباتهم، وهم من يجب أن يدخل المتحف  
وتسجيل المنجزات والمكاسب المحققة، مشيراً  
إلى العمل المحترف لجبهة التحرير بجناحيها  
العسكري والسياسي، التي أرغمت المستعمر  
على الجلوس حول طاولة المفاوضات بعد  
تلقيه ضربات موجعة على الصعيدين  
السياسي والعسكري.  
وشدد على شباب جيل الاستقلال بأن  
يكونوا عند حسن ظن المجاهدين والشهداء  
الذين قدموا أغلى ما لديهم في سبيل أن ينعم  
الجزائري بالحرية، مضيفاً أن الأسلاك الأمنية  
مطالبة بمواصلة المسيرة والحفاظ على الأمانة  
والذود عن الوطن المقدس وهي الجزائر وما  
أدراك ما الجزائر.

■ قال المجاهد الطاهر لعجال متهمك من  
بعض الأحزاب والشخصيات التي تدعو إلى  
إحالة جبهة التحرير الوطني إلى المتحف  
«عليها هي أن تدخل المتحف وتسجل  
الإنجازات والمكاسب المحققة»، لأن هذا الحزب  
أسقط الجمهورية الفرنسية الرابعة وحرر  
الوطن من دنس الاستعمار.  
وأكد الطاهر لعجال وهو إطار سامي خلال  
فترة حكم الراحل هواري بومدين وأحد  
قياديين جبهة التحرير الوطني بمناسبة حفل  
تنصيب رئيس أمن دائرة طولقة بمقر هذه  
الأخيرة أن ثورة نوفمبر المجيدة كانت شعبية  
بامتياز وهو السر الذي يقف وراء هزيمة  
فرنسا، رغم الدعم العسكري والسياسي  
اللامتناهي من طرف الحلف الأطلسي لهذا  
الاستعمار، معتبراً أن عمل رجل الأمن يجب  
أن يكون استمراراً لثورة نوفمبر، لأن محاربة  
الاستعمار والجريمة بأشكالها المختلفة هو شيء  
نبيل يدخل الطمأنينة للمواطنين مثملاً فعل





الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء طيب الهواري لـ"صوت الأحرار"

## "فرنسا تحاول محو الشهداء والمجاهدين من الذاكرة الوطنية"

■ فرنسا كلفت جهات لإبعاد حزب جبهة التحرير الوطني من الساحة السياسية

أكد الأمين العام للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء طيب الهواري أن المسؤولين الفرنسيين يتهربون من مسؤولياتهم ولا يرغبون في الاعتراف بجرائم فرنسا الاستعمارية المرتكبة في حق الشعب الجزائري، مشددا في حديث خص به «صوت الأحرار» أن فرنسا تحاول محو الشهداء والمجاهدين والثورة التحريرية من الذاكرة الوطنية وكلفت جهات للقيام بهذه المهمة القذرة والتي تدعو إلى إبعاد حزب جبهة التحرير الوطني والذهاب به إلى المتحف.



■ حواره: محمد سعدي

شعارات تحثي بالفتح من نوفمبر وأخرى تندد بإراقة الدماء العربية

## شباب "الفيسبوك" يرفضون مقارنة "الربيع العربي" بالثورة الجزائرية



رفض مستعملو موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» مقارنة الأحداث التي تشهدها بعض الدول العربية، بالثورة التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري ضد المستعمر الفرنسي. فلقد عكست معظم التعليقات التي رصدتها «صوت الأحرار» في هذا السياق، إجماعا تاما على أن ما عاشته تونس ومصر وليبيا وتعيشه اليمن وسوريا، «تبقى مجرد انتفاضات شعبية ضد أنظمة جائرة»، ولقد ركز هؤلاء الشبان في تعليقاتهم على عاملي التاريخ والدين، حيث ذكروا بأن الثورة الجزائرية ومواجهتها للاستعمار استمرت لأزيد من قرن من الزمن، وأنها كانت ضد عدو فرنسي صاحب توجه صهيوني وليس ضد أبناء الوطن الواحد والدين المشترك.

■ إيمان سايج

برزت في الآونة الأخيرة بعض الصفحات الخاصة عبر موقع التواصل الاجتماعي واسع الانتشار «فيسبوك»، تجرّد ما تشهده بعض الدول العربية من حراك شعبي أدى إلى إسقاط ثلاثة أنظمة إلى حد الساعة، ولعل أبرز ما ميز هذه الصفحات هو إصرار القائمين عليها على تسميتها بـ«الثورات» ومقارنتها بالثورات العربية العظمى، على غرار حرب أكتوبر بمصر سنة 1973، وثورة التحرير الجزائرية سنة 1954. وعن هذه الأخيرة حاولت «صوت الأحرار»، رصد مواقف الجزائريين عشية الاحتفال بالذكرى 57 لاندلاع ثورة نوفمبر المجيدة، حيث سجلت تباينا في التعليقات المنشورة على مثل هذه الصفحات، ليبقى الموقف السائد عند الأغلبية هو «رفض هذه المقارنة جملة وتفصيلا»، ولقد فضل كل واحد التعبير بطريقته الخاصة، مشددين على أن ما عاشته وتعيشه بعض الدول العربية الشقيقة لا يرقى لأن يكون ثورات وإنما مجرد انتفاضات شعبية ضد أنظمة ظالمة.

«ثورتنا كانت ضد مستعمر أجنبي وليس ضد إخواننا»

بهذا التعليق أرادت مجموعة من الشبان الذين اختاروا لصفحتهم عنوان «أخطونا يا العرب الجزائر راهي بخير»، الرد على بعض الصفحات العربية التي تشبه ما أصبح يعرف بـ«الربيع العربي» بالثورات التحريرية، فلقد شددت معظم التعليقات التي رصدناها في هذه الصفحة على ضرورة التفرقة بين ثورة التحرير المجيدة التي خاضها الشعب الجزائري ضد قوة استعمارية

برئيسنا، عذرا سوريا كان الله في عونكم». وفضلت «نادية» التعليق بالقول «قام أجدادنا بمحاربة استعمار فرنسي غاشم، وليس قتل إخوة مسلمين! ربي يهديكم ويخفف عليكم ظلم أسدكم! أما نحن فنحن عزيزنا بوتفليقة ونفنى من أجل الجزائر فحذار.. واللا...».

### صفحات خاصة للاحتفال بأول نوفمبر

وفي الوقت الذي ركّز فيه البعض على التعليق على مثل هذه الصفحات، فضل الكثيرون إنشاء صفحات خاصة للاحتفال بالذكرى 57 لثورة التحرير المجيدة، حيث اختلفت العناوين والصور المعروضة، فيما اتحدت المضامين التي حملت كلها شعارات «تحيا الجزائر» و«المجد والخلود لشهداء الجزائر». ولقد حاول الشباب الجزائري التعبير كل على طريقته الخاصة عن حبه للوطن، فقد طرحت إحدى مستعملات «الفيسبوك» والتي سمّت نفسها «أم شيماء» فكرة نقلت في نشر العلم الجزائري على كل حائط بمناسبة عيد الثورة، حيث علقت بالقول: «بمناسبة 1 نوفمبر اطلب من إخواني وأخواتي أن يضعوا صورة لعلم جزائري في البروفيل، على الأقل ليوم كامل، لنعبر عن مدى حبنا لبلادنا».

من جهتهم، فضل الكثيرون الاحتفال بالذكرى المجيدة من خلال التذكير بجرائم المستعمر التي مارسها ضد الشعب الجزائري الأعزل طوال فترة استعمارها، فقد خصص «مراد» صفحته للتنديد بمجزرة 17 أكتوبر 1961. معلقا بالقول «نحن شعب لا يجيد النفاق والعناق، شعب لا يعرف التمثيل، نحن شعب لا يركع ولو قطع رأسه، نحن شعب ذو مبادئ ووقفات شهد لها التاريخ وسجلها، نحن شعب الجزائر».

أجنبية وما يشهده العالم العربي من انتفاضات تسببت في الإطاحة ببعض الأنظمة العربية.

وكانت أكثر العبارات المتداولة بين هؤلاء، تؤكد أن الثورة الجزائرية كانت ضد الغرب وأنها لم تكن أبدا ضد أبناء الوطن الواحد، فقد علق «زينو» بالقول إن «ثورتنا كانت ضد مستعمر أجنبي»، وقال عبد التّور «ثورة التحرير الجزائرية لم تشهد أي حالة وقف فيها الجزائريون ضد بعضهم بل كنا كلنا ضد فرنسا»، فيما اكتفى آخر بالقول «ثورة نوفمبر الأصل والباقي تقليد».

ولقد أعاب أصحاب هذه الصفحة، على «طريقة التعامل مع رموز الأنظمة البائدة»، فقد حملت مجمل تعليقاتهم عبارات منددة بطريقة تصوير محاكمة الرئيس المصري حسني مبارك والتي قورنت بكيفية تعامل الفرنسيين مع محاكمة جاك شيراك التي تزامنت مع «محاكمة العصر» بمصر، ولكن بقي المشهد الذي سجل أكبر عدد من التعليقات الجزائرية هو اعتقال وقتل العقيد الليبي معمر القذافي والتنكيل بجنته، والتي أجمع كل المعلقين على أنها لا تمت بأية صلة بتعاليم ديننا الحنيف.

«عذرا سوريا..»

ولعل أبلغ تعليق قرأته، كان حول صورة نشرها بعض السوريين المنتمون إلى ما يسمى «جبهة شهداء المهلة العربية»، والتي حملت عبارة «عذرا للجزائر قد نأخذ لقب مليون شهيد منكم من أجل ثورتنا»، حيث قصد أحد الشبان التعليق عليها بالقول «عذرا سوريا فعدد شهدائنا هو مليون ونصف مليون شهيد، عذرا سوريا ثورتنا دامت أكثر من 130 سنة، عذرا سوريا لقد ثرنا على حريتنا وكرامتنا منذ أكثر من 20 سنة، عذرا سوريا خرجنا من دمار شامل بعشرية دامية، عذرا سوريا نحن لم نقاتل إخواننا المسلمين ولم ننزل للشوارع لنندد



من انتزاع الاستقلال إلى افتكاك الاعتراف

# فرنسا تحاول القفز على التاريخ لبناء المستقبل مع الجزائر

تسعى فرنسا إلى بناء المستقبل مع الجزائر وهي تحاول القفز على التاريخ وما زالت لحد الآن لم تحترم نفسها بعدم الاعتراف بجرائمها في الحقبة الاستعمارية طيلة 132 سنة رغم المطالب المتكررة التي رفعها الجزائريون، كما أن الخرجة الأخيرة للرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي الذي دعا تركيا إلى الاعتراف بالإبادة الأرمنية يعكس مدى النظرة الاحتقارية الفرنسية للجزائر.

سهام بلوصيف

إليهم لبناء مستقبل وهو ما يراه وزير الخارجية الحالي آلان جوبي شأنه شأن رئيسه نيكولا ساركوزي الذي تجرأ على قول هذا في قسنطينة قبل أربع سنوات في حين استقبله الشباب الجزائري بمقطع «يا فرنسا قد مضى وقت العتاب وطويناه كما يطوى الكتاب يا فرنسا إن نادى وقت الحساب فاستعدي وخذي منا الجواب».

فعندما تدعو فرنسا تركيا إلى الاعتراف بإبادة الأرمن وترى ذلك ليس من حق الجزائريين فهنا على الجزائريين التحرك في أكثر من جهة واللجوء إلى القوانين الدولية والهيئات الحقوقية العالمية فكما رُكع الشهداء الأبرار والمجاهدين الأشاوس الجنرال ديغول وإجباره على الاعتراف بحق تقرير مصير الجزائر واسترجاع سيادتها على جيل اليوم إرغام الفرنسيين الذي يحاولون بشتى الطرق إلى دفن جرائمهم المتركمة.

فرنسا التي خرجت من الجزائر تجر أذيال الهزيمة على أيدي شعب آمن بعدالة قضيتها رغم قوتها وترسانتها العسكرية وحلفائها والتي لم تنفصم في ضم الجزائر بالقوة عليها أن تعي أن إدارة ظهرها لمطلب الاعتراف والاعتذار لن يجدي نفعاً بل بالعكس يتطلب منها شجاعة لطلب الصفح من الجزائريين الذي ذاقوا من طرف فرنسا الاستعمارية أشنع أنواع التعذيب حتى يمكن أن تمتد جسور التعاون بين البلدين وفق مصالح مشتركة واحترام متبادل بين الشعبين.

تواصل فرنسا نكران مجازرها التي اقترفتها من 1830 إلى 1962 في كل شبر من التراب الوطني وتمضي في غيها بل تمادت إلى أبعد حد فبعد سنها لقانون يمجدها في الجزائر والعملاء الذين ساعدوها على تعذيب إخوانهم راحت تتمنى على لسان وزير خارجيتها الأسبق برنارد كوشنير أن يرحل الجيل الذي قاد الثورة ضدها لتتمكن من بناء علاقات أفضل متناسية بذلك أن رسالة أول نوفمبر توثرت جيل بعد جيل.

ولم تتوقف الجماعات الفرنسية عند هذا الحد بل راحت لتتهين المجاهدين وتلصق صفة الإرهاب ببجبهة التحرير الوطني التي أذاقتها مرارة الهزيمة وصمت أذانها على مطلب الاعتراف والاعتذار التي مازالت الجزائر متمسكة به.

فباريس التي تدعي أنها مهد حقوق الإنسان لم تعترف لحد الآن أنها انتهكتها في الجزائر رغم أن ممارساتها الوحشية محفورة في الذاكرة الجماعية الجزائرية ولم تعلن توبتها بعد بل تتعمد إلى طمس مجازرها ضد الجزائريين فهي قبل أسابيع حشرت أنفها في العلاقات التركية والأرمنية ودعت تركيا إلى الاعتراف بـ «الإبادة الأرمنية» خلال الحرب العالمية الأولى، مستفزة بذلك الجزائريين الذين لن يتنازلوا عن حقهم في الاعتراف والاعتذار.

وفي وقت تتمسك فيه فرنسا برفض هذا المطلب الذي يرفعه كل الجزائريين تمد يدها

بعد تعجيد الاستعمار وتكريم «الحركي»

## السباق على عرش الإليزي سيحمل كثيرا من المفاجآت

سميرة ب.

القضايا المتعلقة بالقتل أو السب في حق الحاملين لهذه الصفة.

وتأتي هذه المبادرة الجديدة التي تتزامن مع احتفال الجزائر بالذكرى 57 للثورة التحريرية بعد مقترح قانون سابق تقدم به نواب من حزب ساركوزي الحاكم في فرنسا من أجل تجريم ما قامت به جبهة التحرير الوطني في الفترة الممتدة ما بين 19 مارس 1961 و5 جويلية 1962 ووسمها بكونها جرائم ضد الإنسانية، ومؤكد أن باريس ما تزال تحتفظ بعدد من المفاجآت للجزائريين بمناسبة مرور نصف قرن على هزيمتها في الجزائر، من قبيل تصنيف عملية ميلك بار التي نفذها ثوار الجزائر سنة 1956 في خانة الأعمال الإرهابية ودعوة الناجين منها لحضور مؤتمر دولي لضحايا الإرهاب.

مرة أخرى، تثبت باريس بالدليل القاطع أن لا نية لها في الاعتراف بالماضي المخزي لفرنسا الاستعمارية في الجزائر، وغير وارد في أجدتها على المدى القريب الاعتذار عن ذلك الماضي وتلك الجرائم التي تصنف في خانة «الجرائم ضد الإنسانية» التي لا تقبل التقادم، بل إن الأسوأ هو مبادرات التمجيد للممارسات الاستعمارية التي بدأت من قانون العار في 23 فيفري 2005 وما تلاه من مشاريع قوانين تكريم «الحركي» وتوسم المقاومة الجزائرية للمستعمر بالإرهاب والجرائم ضد الإنسانية.

### لا نية لباريس في الاعتراف بجرائم فرنسا الاستعمارية في الجزائر

الذين اختاروا خيانة الثورة حيث المنتظر أن ينظر البرلمان الفرنسي بعد يومين في مشروع قانون يعدل أحكام المادة الخامسة من قانون 23 فيفري 2005 المعروف بقانون العار الذي يمجد الاستعمار.

وتنص المادة الجديدة على عقوبة السجن عاما واحدا وغرامة بـ45 ألف، أورو أو بوحدة من العقوبات في حق كل من أهان أي شخص أو مجموعة أشخاص يحملون صفة حركي أو كان عضوا في القوات المساعدة للجيش الفرنسي في الجزائر، كما يسمح مشروع القانون الجديد لجمعيات الحركي، والحاصلة على اعتماد منذ 5 سنوات على الأقل، بالتأسيس كطرف مدني في

الثورة الموجود حاليا في سدة الحكم وأن هذا الأخير هو من يعقد العلاقات بين الطرفين وأن رحيله سيسمح بطي صفحة الماضي والتطلع للمستقبل بأكثر راحة وفاعلية، رغم أنه بالإمكان تسوية هذا الملف باعتراف واعتذار من فرنسا الرسمية إذا ما قررت تحمل مسؤولياتها كاملة اتجاه مخلفات فرنسا الاستعمارية في الجزائر.

ولم تتوقف فرنسا الرسمية عند غض الطرف عن الاعتراف بانتهاكات وجرائم فرنسا الاستعمارية في الجزائر بل ذهبت بعيدا في استفزازاتها للجزائر من خلال تعجيد الماضي الاستعماري وتكريم عملائها من الجزائريين

بات مؤكدا أن قانون العار الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي ذات 23 فيفري من سنة 2005 والذي كان كافيا لتسيف معاهدة الصداقة بين البلدين، لم يكن سوى خطوة أولى في مشوار طويل تريده النخبة الحاكمة في الإليزي لتبييض الماضي الأسود والمخزي لفرنسا الاستعمارية في الجزائر وللتنصل من مسؤوليتها في الاعتراف بالارث الذي خلفه سفاحون فرنسيون من شاكلة موريس بابون وبيجار والاعتذار عنه، رغم أن العديد من الدول الغربية بادرت بالاعتذار لمستعمراتها السابقة. ولعل الأسوأ في منطق النخبة الحاكمة في باريس وفي مقدمتها الرئيس نيكولا ساركوزي هو دبلوماسية «الكيل بمكيالين» في التعامل مع الماضي الاستعماري، فمن جهة يدعو ساركوزي تركيا للاعتذار عن جرائمها ضد الأرمن وفي المقابل يريد القفز على قضايا الذاكرة والماضي المشترك بين الجزائر وباريس، وهو ما عبر عنه صراحة في أول زيارة تقوده إلى الجزائر سنة 2007 عندما نصح الجزائريين بالتغاضي عن الماضي والتطلع إلى المستقبل بما يخدم مصالح الشعبين.

وحجر العترة على طريق تعزيز العلاقات بين الجزائر وباريس من وجهة نظر المسؤولين الفرنسيين والتي عبر عنها الممثل الأسبق للدبلوماسية الفرنسية برنار كوشنير هو جيل



الأستاذة فاطمة الزهراء بن براهيم في حوار لـ «صوت الأحرار»

## "فرنسا الاستعمارية قننت التعذيب وارتكبت جريمة دولة في حق الجزائريين"

تطرقت الأستاذة فاطمة الزهراء بن براهيم في حوار لـ «صوت الأحرار» إلى قرار تقنين التعذيب الذي لجأت إليه فرنسا الاستعمارية إبان الثورة التحريرية ابتداء من سنة 1957 عن طريق سن وثيقة رسمية تسمح بتعذيب كل جزائري يشتبه فيه حتى الموت. وتؤكد الأستاذة أن هذه الممارسات اللاإنسانية التي أرخت لمرحلة قذرة راح ضحيتها الآلاف من الجزائريين تحمل فرنسا اليوم تهمة «جريمة دولة» التي اعترف بها القانون الدولي في إطار معاهدة روما لسنة 1998 وجعل إمكانية القصاص أمام محكمة دولية أمرا ممكنا.

وما هو مصير الذين مارسوا التعذيب باسم الدولة الفرنسية؟

التعذيب يمارس على شخص واحد من طرف عدة أشخاص ينتمون لنظام عسكري يقع تحت مسؤولية الدولة التي لم تعاقبهم بل أكثر من ذلك رخصت لهم مثل هذه الممارسات، وهم يقولون أننا عذبنا بأمر من الدولة التي أمرت بتقنين التعذيب في وثيقة رسمية ابتداء من تاريخ 19 مارس 1957 بأمر من الجنرال «ماسو» الذي تلقى أوامره من وزير الداخلية آنذاك فرنسوا ميران في عهد الرئيس كوتي. ويذكر أن المرحلة التي تلت هذا التاريخ عرفت حملات تعذيب شاملة وجماعية لم تستثن صغيرا أو كبيرا، رجالا أو نساء، مدنيين أو عسكريين وكانت تبرر بالحصول على المعلومة، وعليه تصدر الأوامر بالتعذيب حتى الموت وبذلك أصبح المعذب محميا بالقانون بما سمح بأسسه التعذيب.

ما هو موقف الفرنسيين في المرحلة الراهنة بطبيعة الحال من ممارسات التعذيب التي تنسب إلى دولتهم؟

هناك ثلاثة أصناف من الفرنسيين، حيث نجد أن البعض منهم يقولون يجب أن ننهي الماضي وترك كل شيء وراءنا، وهناك دعاة الاعتراف بالجريمة وطلب الاعتذار دون متابعة الدولة على أخطائها وجرائمها المرتكبة، ويبقى الصنف الأخير الذي يقر بضرورة الاعتراف ويؤكد على ضرورة المتابعة الدولية والإدانة التي يجب أن تظال الدولة الفرنسية في الأحوال. ونحن نساند بالتأكيد الطرح الأخير، لكن المهمة جد صعبة في ظل تعنت الفرنسيين كدولة في تسليم الأرشيف وبالمقابل سننعمد على مساهمات الصحفيين الفرنسيين، وهنا يحضرني مثال الصحفي «جون لوك إينودي» الذي أدلى بشهادته ضد موريس بابون وقال بأنه قام بإبادة حقيقية يوم 17 أكتوبر 1961 عندما خرج الجزائريون المقيمين بفرنسا في مظاهرات بباريس وألقى بهم في نهر السين ولم يصرح إلا بثلاثة قتلى و57 جريح. وبعدها قام صحفيون بالبحث عن الأرشيف، مما دفع بوزير الداخلية لتنصيب لجنة للبحث عن عدد القتلى وتقديم الأرقام الحقيقية ليرتفع العدد الرسمي الذي يبقى نسبي إلى 386 قتيل.

لقد غيرتم تسمية الجمعية التي تنشطون في إطارها، لماذا هذا التحول، وما هي خطوتكم القادمة؟

في أول الأمر كانت تسمية الجمعية «الهيئة الوطنية لتحرير العلاقات الجزائرية من التاريخ الاستعماري»، لكن وبعد أبحاث قمنا بها اكتشفنا أن الفكر الاستعماري أخطر من الاستعمار نفسه، ونستشهد في هذا الموقف بتلك الرسالة التي بعث بها الجنرال شميت إلى العسكري «كلو وارك» أحد المعذبين يدعو فيه بضرورة الاعتراف بممارسات التعذيب، فرد عليه هذا الأخير قائلا «ألا يمكنك أن تغلق فاهك، لأن حرب الجزائر لا تزال متواصلة». وبالتالي قررنا تغيير تسمية الجمعية إلى «الهيئة الجزائرية المناهضة للفكر الاستعماري وجرائمه». وسنعمل على مدى الشهور والسنوات القادمة على توضيح جرائم الاستعمار الفرنسي من خلال ندوات ومحاضرات وطنية ودولية سننظم بصفة دورية لتحسيس الرأي العام الوطني والدولي على حد سواء بخطورة الفكر الاستعماري وجلب فرنسا إلى طاولة القصاص للاعتراف بجرائمها وتقديم التعويضات اللازمة للجزائريين.



إذن كيف سيكون بإمكان الجزائر استرجاع أرشيف الثورة؟

إن فرنسا وقعت في فخ رهيب من خلال إصدارها لقانون خاص بالأرشيف المدني في شهر جانفي 1979، ويسمح هذا القانون برفع السر عن الأرشيف بعد مرور فترة زمنية معينة بما يسمح للأجيال القادمة بالاطلاع عليه وتوظيفه في صياغة التاريخ، لكنها تفاجأت بمعاهدة روما 1998 التي تجرم الدولة المذنبة. ومن الممكن الحصول على هذا الأرشيف شريطة أن تقدم الدولة الجزائرية طلبا رسميا إلى الدولة الفرنسية. أما فيما يخص الأرشيف العسكري فيمكن أن نطالب به عن طريق جمعية أو مبادرة من الشخص الذي تعرض للتعذيب، وهنا لا يفوتني أنت أذكر بما تعرضت له المجاهدة لوزية أحرز التي صرحت علنا بأنها عذبت واغتصبت من طرف الجنرال «شميت» ورد عليها حينها بأنها مجنونة ولا تعي ما تقول، مع العلم أن هناك عديد من النساء الجزائريات اللواتي تعرضن لنفس التعذيب ولم تجرأن بالتصريح عما حدث. وبعدها رفعت لوزية عليه دعوى قضائية بتهمة القذف وطالبا بالأرشيف الذي يثبت التهمة عليه لكننا لم نتحصل عليه.

هناك صور بشعة تروي وبصدق جزء صغير عن وحشية فرنسا الاستعمارية وكما يقال ما خفي كان أعظم، كيف حصلتم على هذه الصور؟

الفضل ربما يعود بالدرجة الأولى إلى الصحفيين الفرنسيين كما سبق وان قلت لكم الذين قاموا بجمع هذه الصور من طرف عائلات فرنسية تحصلت عليها من طرف أبنائها الذين كانوا يؤدون الخدمة الوطنية بالجزائر، كما أن الصور نشرت في كتاب يصعب الحصول عليه في السوق تحت عنوان «عندما كانت فرنسا تعذب». وفي ظل تعنت الإدارة الفرنسية الحالية التي تتمسك بمبدأ الاحتفاظ بالأرشيف يبقى مصدرنا الوحيد في المرحلة الراهنة هو الصحفيين والمؤرخين الفرنسيين، بالإضافة إلى عدد من العسكريين الفرنسيين الذين مارسوا التعذيب ويعيشون الآن صخرة ضمير في آخر أيام حياتهم بما يدفعهم إلى البوح بما فعلوه في الجزائر.

■ حاورها: عزيز طواهر

لجأت فرنسا إلى ممارسة التعذيب بشتى أنواعه في حق جزائريين مدنيين عزل خلال الثورة التحريرية ولم تستثن منهم أحدا بحجة الحصول على المعلومات، وأنتم تنشطون اليوم في إطار جمعية وطنية «الهيئة الجزائرية المناهضة للفكر الاستعماري وجرائمه»، كيف تفسرون ذلك؟

قبل الحديث عن هذه الممارسات التي أقل ما يمكن أن توصف به هو أنها «إجرامية وغير إنسانية» يجب أن نعود إلى أصل الفعل وهو التعذيب الذي يعرف لغويا بأنه كل اعتداء جسدي أو فكري على شخص ضد إرادته ومن يقوم بهذه العملية يسمى الجلاد أو المعذب حتى نكون أكثر دقة في ضبط المصطلح. وشخصية المعذب تنفرد بكونها جد معقد ومميزة في الوقت ذاته، حيث نرى أنه في بعض الأحيان يكون شخص تعرض للتعذيب في مرحلة معينة من مراحل حياته ويمارس فعل التعذيب ضد غيره انتقاما من ماضيه. وغالبا ما نجد أن ممارس هذا الفعل توفر له حماية كبيرة من طرف مسؤوليه ويكون عمله أرذل الأعمال ويصبح بذلك يد المفكر في الانتقام فهو يستعمل يده ويحي عقله. كما أن هؤلاء الأشخاص يرون عبر مدارس خاصة للتعذيب وقد يلجأ المسؤولون في بعض الأحيان إلى تحذيرهم باعتبار أن المعذب لا يملك شخصيته بل هو مسير. أما فيما يتعلق بفرنسا الاستعمارية فقد حاولت الانتقام من الشعب الجزائري بكل الأنواع والسبل، حيث قننت التعذيب ابتداء من تاريخ 19 مارس 1957 لتمكين موظفيها وأعاونها وحتى المركي من تعذيب الجزائريين غير مبايعة بالعواقب، وذلك بحجة الحصول على المعلومات.

انطلاقا مما تفضلتم به، هل يمكن إثبات جريمة التعذيب من الناحية القانونية؟

في الماضي كان من الصعب إثبات جريمة التعذيب ولم يكن معترفا بها في إطار قانوني إلى غاية شهر جويلية من سنة 1998 تاريخ التوقيع على معاهدة روما التي منحت المحاكم الدولية أدوات ووسائل لمحاكمة مجرمي التعذيب. ولا يجب أن ننسى أنه قبل هذا التاريخ لم يكن معترف بالتعذيب كجريمة ضد الإنسانية من جهة، كما أن المعاهدة مكنت من امتداد جريمة التعذيب عبر الزمن وعدم انقضاءها من جهة أخرى. وعليه، فإن المفهوم قد تطور من جنحة في القانون العام إلى جريمة ضد الإنسانية في القانون الدولي ويتم التصدي لها بتشديد العقوبة. ومن هذا المنطلق فتحنا الحوار في الجزائر حول التعذيب الذي مارسه فرنسا ضد الجزائريين والتقينا بناس تعرضوا للتعذيب وقدموا لنا شهادات حية وعلى رأسهم المجاهدة لوزية إيغيل أحرز، وفي رأيي فإنه سيكون بفضل هذا القانون من حق كل من تعرض للتعذيب في العهد الاستعماري محاكمة معذبه وطلب التعويضات.

كيف يتم إثبات التعذيب من الناحية العملية باعتبار أن الفترة التي تمت فيها مثل هذه الممارسات قد مر عليها زمن طويل، وهل تنسب الأفعال إلى الأشخاص أم إلى الدولة نفسها؟

هنا ندخل في مرحلة جديدة تدفعنا للتساؤل من عذب من وباسم من؟ فإذا كانت الدولة الفرنسية هي التي

أصدرت أوامر بالتعذيب تصبح تلقائيا حاملة للقب المعذب وبالتالي تتحمل ما أصبح يصطلح عليه بـ «جريمة الدولة» التي تجرم فرنسا وتجعلها معرضة لمتابعة قضائية في إطار جرائم الدولة. وفرنسا حاليا تخاف من هذا الاصطلاح الجديد الذي يضعها في قفص الاتهام ويلزمها بالوقوف أمام محكمة التاريخ، لذلك نجد أن الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي يتهرب باسم فرنسا وحتى قبل توليه للرئاسة من حتمية الاعتراف بجرائم الاستعمار الفرنسي ويعمل على تمجيده من خلال إنشاء مختلف الجمعيات المجددة للاستعمار والحركي. ويبقى أن الأخطر من كل هذا هو مجرد التفكير في توقيع معاهدة الصداقة بين البلدين الأمر الذي من شأنه أن يسقط حق الجزائر والجزائريين في مطالبة فرنسا بالاعتراف بجرائمها أو التعويضات أو حتى محاكمتها، مع العلم أن الاعتذار في حد ذاته غير كافي لأن نهاية الجرم لا تكون إلا بالإدانة والعقاب، ونحن لسنا بحاجة إلى اعتذار فرنسا لأنه لا يحي جريمة الدولة الفرنسية.

كيف يمكن توظيف أرشيف الثورة الجزائرية كوثائق رسمية لإدانة فرنسا الاستعمارية؟

لا يجب أن يخفى أن محاكمة فرنسا لن تكون إلا عن طريق تحصيل أكبر قدر ممكن من الوثائق الرسمية من صور وتصريحات ووثائق استعملت آنذاك تحمل أوامر بالتعذيب أو القتل. ولما كان الأرشيف ثروة حقيقية وخير دليل لكشف الجرائم المرتكبة سعت فرنسا إلى إخفاء أرشيف الحالة المدنية الذي يتضمن دراسة التركيبة البشرية للجزائريين والهزم الاجتماعي بصفة عامة، بالإضافة إلى أن فرنسا استرجعت الأرشيف العسكري والأرشيف العسكري القضائي. واليوم نحن مطالبون بالعمل لاسترجاع الأرشيف، بحيث إننا نحتاج أرشيف الحالة المدنية الذي رفضوا تسليمه بسبب مجزرة 8 ماي 1945 تلك الفترة كان فيها بابون مفتشا عاما ولم يتم التصريح بالعدد الحقيقي للمتوفين وتم التخلص من الجثامين من خلال الدفن الجماعي وسكب الجير عليها لتعجيل عملية التحلل حتى لا يتمكن احد من التعرف عليها.